من سلسلة الثقافة الإسلامية

١

الأخلاق الإسلامية

بقلم

محمد المهدي الحسيني الشيرازي



محمد المهدي الحسيني الشيرازي



محمد المهدي الحسيني الشيرازي

الأخلاق الإسلامية

مطبعة الغري الحديثة في النجف الأشرف تلفون ٦٨٢

١٣٧٩ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

ألحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد وآله الطاهرين

تمهيد :

هـــذا عرض موجز للأخلاق الاسلامية ، إنتزعناه من الكتاب والسنة المصدرين للشريعة الحنيفة، إلماعاً إلى الرصيد الضخم الذي يعــتز به هذا الدين من الفضيلة البشرية، والمبادىء الانسانية . وقـد يملك الانسان العجب : حينما يرى البون شاسعاً بين القيــــادة المحمدية ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ في الأخلاق ، وبين المستوى الذي انحط إليه خلق المسلمين في العصر الحاضر، وليس هذا ـ لدى التدقيق ـ إلا من خطوط الاستعمار العريضة الذي سلب المسلمين كل شيء : من مبدء ودين ، وفضيلة وأخلاق .. وأبعـــد المسافة بين الشبيبة وبين الكتاب والسنة ، حتى لايقوم لهم عماد ، ولايتقدم أحدهم بطلب دية القتيل الذي تقطر براثنه الوحشية من دمائه ، القتيل الذي كان عزهم ورفعتهم ، ودنياهم وآخرتهم ، واستقلالهم وسيادتهم ..

حتى لقد زعم بعض المسلمين ـ وهم في أحضان الكتاب والسنة ـ أن سبب تأخرهم هو دينهم ، وعلة فساد أخلاقهم هي تمسكهم بمبادئهم ، وبذلك أصبح يفر المريض من علاجه ، إلى حيث يكمن موته المحتـــوم

والقوم بعدسادرون فى التبعيد ، والمسلمون بعد سائرون على المنهاج المصطنع، وكلما زاد المسير ، ابتعدوا عن المقصد .

و من المدهش حقاً : أن يتهافت شباب المسلمين على فتات من موائد الغرب أو الشرق ، زاعمين أنه غذاء الروح وحده ، فاذا ظهر كتاب (كيف تكسب الاصدقاء) إنفضوا اليه ، من غير علم بأن ما فيه ليس إلا جزءاً من ألف جزء من رصيدهم الثقافي الأخلاقي الضخم ، الذي نثره بين ايديهم كتابهم وشريعتهم ، من قبل أربعة عشر قرناً ، ثم لا يبالون بأن ينسبوا شريعتهم إلى الرجعية والجمود ، لخلوها عن الفضائل !!!

إن من ينصف لابـــد له أن يعترف بأن الاسلام أغنى شرائع السماء ، وقوانين الارض ، وكلمات الحكماء ، وآداب الكتاب ، وقصائد الشعراء .. من جهة شمولها على كنوز الفضيلة الممتعة ، ومعادن الأخلاق الغنية ، بل لو أنك جمعت كل الحكم والقصائد المنثورة والمنظومة . مما ورثتها الأنبياء والفلاسفة و.و. لوجدت الاسلام أكثرمن جميعها من هذه الناحية: مما نص عليها الكتاب والسنة ، مـــع الغض عما ورثها الصالحون من علماء المسلمين .

إن الدين الاسلامي منذ أن أعلن نبيه العظيم : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » أبدى شيئاً لم يكن بالحسبان ، وهو الارتباط الوثيق بين

الدين والخلق ، حتى ان كل شعيرة من شعائر الاسلام متشابكة مع فضيلة من الفضائل ، فلا الدين وحده ، ولا الأخلاق وحدها ، بل دين وأخلاق . وسيأتي عرض النواحي الأخلاقية لطائفة من الأحكام الشرعية ، مما يؤكد على أواصر القرابة المشجرة بين الاسلام والفضيلة .

فمن لا فضيلة له ، لا دين له ، وإن صلى وصام وزكى وحج .. ومن لا دين له، لا فضيلة له ، وإن جاد وأعطى ، وواسى ووفى ..

وبعد : فان الأخلاق لا يكفي فيها الاتصاف الفارغ عن الروح ، كما لا ينفع الجسد الخالي عن الحياة . وكذا لا يجدي العلم بمحاسن الصفات ، ومساوى الملكات ، وإن قدر العالم بها : من ترصيفها و وصفها ، وتقسيمها وجمعها ، ودرى أن أيها داخل في القوة الشهوية وأيها مرتبط بالحالة السبعية.

كما لا ينفع العلم بالدواء ، وكيفية استعمال العقاقير .

إن النافع هو الملكة الحاصلة من التكرر، حتى تنطبع فى النفس الصفة الحميدة ، وتنمحي عنها الخصال الفاسدة ، ويصبح الرجل والكرم ـ مثلاً ـ منتهى امنيته ، والشجاعة نقش طبيعته ، يجود في كل منـــاسبة ، ويقدم في كل هول ..

وحينذاك يمكن أن يطمن الرجل بوجود الفضيلة في نفسه ، وانمحاء الرذيلة عنها ، لكن دون هذا عقبات وعقبات .

وليس أجدى لتحصيل الملكة من دوام التذكر ، والاستمرار في العمل ، فان النفس كالورق الأبيض ، ثم يؤثر فيهـــا المحيط والبيئة والتربية والتعليم .. وينطبع فيها الغالب من الصفات . وليس الانطباع فى النفس أمراً يسيراً . بل يحتاج الى التكرر والمداومة . وأما لو انطبع فيها لون من ألوان الرذيلة ، فالأمر أصعب بكثير . إذ يحتاج إلى إزالة تلك الملكة ، وإيجاد ملكة اخرى .

ومن الجدير بالذكـــر : أن الانسان مهما تعب لتحصيل الفضيلة ، وإزالة الرذيلة . لم يكن عمله عبثاً أو قليل الفائدة ـ كما يزعمه البعض ـ إذ مدار الرقي ، والذكر الحسن .. ليس إلا الفضيلة فحسب . أما سائر الأشياء : كالشرف الرفيع ، والجاه العريض ، والمال الغزير ، بل : والعلم الواسع . فلا تعد شيئاً يذكر . ما دام الشخص خال عن حلية الأخلاق الحسنة . وان احتاج اليه الناس . وركعوا امام شرفه أو جاهه .. فانه عرض زائل ، لا بقاء له ولا دوام له؟

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي



الطهارة

القذارة معنوية وظاهرية . وكلتاهما نقص يشين الشخص . ويسقطه عن الكمال . فيهبط فى مستوى الدناءة والخسة . وان كانت القذارة المعنوية أهبط جهة وأخس درجة . والقذارة هي هي، سواء لوثت الباطن أو الظاهر. والفارق : أن الظاهرة منها تنكشف للعين بأول نظرة . فيمجها النظر . ويزدري صاحبها النفس . فيكون الاجتناب عنها أسرع . وملامحها أبين. والباطنة لا تنكشف الا عند التجربة . حيث تجلو خفايا النفس . وتظهر تعاريج الضمير .

والاسلام يحرص الحرص كله لتطهير المجتمع من رواسب القذارة. فيرشد الى مواضع الطهارة ، ويؤكد ضرورة النقاء ، ويلزم التنظيف المستمر للقلب والجوارح والاعضاء ، على حد سواء ، وحيث أن الانسان بطبعه لا يعتني بما يصيب جسده من النجاسة ، ولا ما ينشب فى قلبه من الرذائل . نرى توالي الارشادات فى القرآن والسنة الى لزوم النظافة .

وما الرصيد الضخم من الأحاديث الواردة بشأن الفضيلة ، والتحبيب اليها . والرذيلة والتنفير منها الا لما ذكرنا .

والمسلمون حيث كانوا فى موضع أحكام الشريعة ، ملتزمين بها ، ومستنين لمناهجها . كانت أخلاقهم ألطف ، ومشاعرهم أطهر ، حتى اذا تخلوا عن قرآنهم وحديثهم ، فاذا هم يرتكسون في بؤرة القذارة ، ويرتطمون فى أوحال الدنائة ..

* * *

المسلم طاهر العين من الخيانة ، فلا يمد عينه الى حرمة من حرمات الله ، ولا يتمنى ما ليس له من أعراض الناس ، وأموال آخرين . وقد نهى الله تعالى رسوله ﴿ ﷺ ﴾ عن ذلك ، تنبيهاً للامة ، وارشاداً لما فيه صلاح القلب : ﴿ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم : زهرة الحياة الدنيا .. ﴾ .

ان الله حسب حكمته العادلة يُمتع أصنافاً من الناس بمتع . اختباراً لهم ولأمثالهم الذين حرموها ، أو جزاءاً على سالف عمل عملوها ابتغاء مرضات الله ، وليس ما يُمتع به هؤلاء الا كزهور الربيع . لا تلبث الا ولفحات الصيف تذويه ، فتذهب زينتها ، وتهشم سوقها . فتمسى هشيما تذروه الرياح .

فمن يمد العين اليها ليس الا متمنياً ماليس له ، وراغبـــاً فيما لم ير الحكمة العليا صلاحه فيه . وربما كان نظره مجلبة لحسرة محزنة . او مفسدة لقلب سليم .

قال الامام الصـادق (عليه السلام) : « النظر سهم من سهام ابليس مسموم . وكم من نظرة اورثت حسرة طويلة ! » ان السهم يؤثر في الجسم فيفسد الاعضاء . والنظر المسموم يؤثر فى الروح فيفسد القلب . والسم فى النظر ربما كان افتك من السم فى العقار . اذ المفاسد التي تترتب على الثاني اقل من المفسدة التي تنطوي عليها النظرات الطائشة .

ولذا يقول الامام الصادق (عليه السلام) : « النظرة بعد النظرة تزرع فى القلب الشهوة . وكفى بها لصاحبها فتنة !! » واي فتنة : اعظم من ثمار هذا الزرع الخبيث الذي يعجز الاطباء عن قلع جذوره . فلا يزال ينمو وينمو ، حتى يؤتى اكله المر البشع .

وليس من المبالغة ـ اذاً ـ ما يقوله الامام الباقر والامام الصادق (ع) : « ما من عضو الا وهو يصيب حظا من الزنا : فزنا العينين النظر ! وزنا الفم القبلة ! وزنا اليدين اللمس ! صدق الفرج ذلك او كذب » ان النظر شهوة محرمة ، والزنا شهوة محرمة . فـــلااستبعاد فى تشبيه الاول بالثاني . وان اختلفت المراتب ، وتباعدت المقادير ، ان حنظلة واحدة

تشبه الحنظل الكثير فى المرارة والعفوصة ، وان تفاوتت الكمية .

واي غاية لمن ينظر الى ما ليس له ؟ انه يجر الى قلبه الاضطراب ، والى اعصابه الهيجان ، فهو كمن يأكل ما يمرضه ، لمجرد حلو مذاق ، او شهوة لسان . ولو صبر قليلا ، وكبح جماح نفسه ، وجد حلاوة الطهارة ، وامن من المفسدة الموبقة . ولهذا يقول الرسول الحكيم : « النظرة سهم من سهام ابليس مسموم ، من تركها لله عز وجل لا لغيره ، أعقبه الله أمناً وإيماناً يجد طعمه » .

وكم في قوله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ : « لله .. لا لغيره » من حكمة ؟! إن من يترك النظر لأمر يرجوه ، أو غاية يخافها ـ غير الله ـ لا يلبث أن تحدثه نفسه بأضعاف ما كانت تهدي إليه عينه من الوسواس ، ثم هو إن نجى من المزلقة هذه المرة لملابسات وظروف ، لا ينجو منها مرة اخرى ، فهو معرض للخطر ، ومظنة للاثم ، وموضع هيجان وفساد .

يقول الامام الرضا ﴿ عليه السلام ﴾ : « وحرم النظر إلى شعور النساء المحجوبات بالأزواج ، وإلى غيرهن من النساء ، لما فيه من تهييج الرجال ، وما يدعو إليه التهييج من الفســـاد ، والدخول فيما لا يحل ، وكذلك ما أشبه الشعور .. » .

إن النظر وإن بدا ـ بادىء الامر ـ تافهاً : لا قيمة له فى فساد أو

إفساد ، إلا أنه أول القطار ، ولا يلبث أن تنجم عنه عواقب ، وتترتب عليه هنات .. ولو عبر عنه برسول البشر ، لكان بموضع من الصدق .

« نظرة ، فابتسامة ، فسلام ... فكلام ، فموعد ، فلقاء !! »

وقد كان من أدب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : التدرج في بيان الفضائل . حيث تلائم الظروف ، وتنكشف سوءة الرذيلة . حتى يكون الارشاد بلسماً للجرح الذي حس به المجتمع . فيقع موضع القبول والتسليم . ولذا كانت عظاته منجمة ، وتوجيهاته موزعة لظروف وأحوال ..

قال الامام الباقر (عليه السلام) : « إستقبل شاب من الأنصار إمرأة بالمدينة ـ وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن ـ فنظر إليها وهي مقبلة ، فلما جازت نظر إليها ، ودخل فى زقاق سماه لبني فلان ، فجعل ينظر خلفها ، واعترض وجهه عظم فى الحائط وزجاجة ، فشق وجهه ، فلما مضت المرأة . نظر ، فاذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره فقال : والله لآتين رسول الله ولأخبرنه ! فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . قال : ما هذا ؟ فأخبره ، فهبط جبرئيل بهذه الآية : « قل للمؤمنين : يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون » .

وللترتيب بين غض البصر ، وحفظ الفرج ، ثم بيان الزكاة التي هي الطهارة ، عقب ذين الأمرين ، حكمته الرائقة ، فان النظرة الخاطئة هي

التي تثير بوادر الزنا ، فتفقد الطهارة والشرافة فى مصارع النزاهة .

وكم يرينا التأريخ مأسى خيانة العين . وليس صادفة أن ينص القرآن على علم الله تعالى بحركة العين الطائشة ﴿ يعلم خائنة الأعين ! وما تخفي الصدور !! ﴾ انه يعلم ذلك وسوف يحاسب الشخص على كل لمحة بصر ، وكل وسوسة صدر .

وأسوء من النظر المحرم الذي يمتد الى عرض محظور . وفي عرض الطريق وما إليه .. النظر الى حرام فى دار ممنوع . من فوق السطح أو شق الباب أو كوة البيت .. فهو خيانة ودنائة ، يأباهما من شرفت نفسه وطهرت طبيعته !

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من اطلع في بيت جاره ، فنظر الى عورة رجل أو شعر امرأة ، او شيء من جسدها ، كان حقاً على الله : ان يدخله النار ، مع المنافقين الذين كانوا يتبعون عورات النساء فى الدنيا ، ولا يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله ويبدي للناس عورته فى الآخرة . ومن ملأ عينيه من امرأة حراماً . حشاهما الله يوم القيامة بمسامير من نار، وحشاهما ناراً حتى يقضي بين الناس ، ثم يؤمر به الى النار » .

إن النظر الى عرض محظور ، او الى عورة محرمة ، والتطلع في بيت محجور ، ومد العين الى زهرة الحياة .. كلها جنايات نفسية ، تكشف

عن خفة الحجى ، و دناءة الذات .

والمسلم طاهر نزيه شريف . وهكذا يأمره الاسلام ، و يرتضيه رسول الكرامة والشرف .

****

والمسلم نزيه اللسان : لا يلمز ، ولا يهمز ، ولا يشتم ، ولا يهذر ، ولا يستغيب ، ولا ينم ، ولا ، ولا ، واللسان كثير الجريمة ، ان لم يصده النزاهة ، ولم يزمه الرجل بزمام من الصمت ، وربما أودى بصاحبه ، وأورده موارد الهلكة ، والمكثار يغلب عليه العطب ، ويثقل على الناس مجلسه . فانه يسيء حيث يظن انه يحسن .

و إنه دليل القلب ، ومرآت العقل ، يقول امير المؤمنين (ع) :

« إذا تم العقل . نقص الكلام »

والقاذورات مهما كانت منتنة ، وكان تنفر الانسان منها اكثر ، لا تبلغ عشر معشار ما يبلغه اللسان القذر ان القذارة انما تولد جراثيم تسبب الأمراض البدنية و اخيراً تؤدي الى هلاك رجل او رجال .

واللسان ربما يجمح . فيولد الجراثيم الروحية التي هي افتك من جراثيم المرض وافتك وكثير ما اهلك اجيالا واجيالا .

واقل ما يناله المكثار ! انه يعرف فى المجتمع بالثرثرة والهذر . كما

ان اصغر حظ الصموت الهيبة في القلوب • وظن الناس فيه كل خير • قال الامام الرضا(عليه السلام) : « من علامات الفقه : الحلم والعلم والصمت، ان الصمت باب من ابواب الحكمة . ان الصمت يكسب المحبة وانه دليل على كل خير»

وما اكثر ما يندم المتكلم ! واقل ما يندم الصامت ! ان الكلام اذا ارخي زمامه احتقب الرطب واليابس ، وتوجه الى الصلاح والفساد، وذهب مسالك الحق والباطل، اما الساكت ، فانه وان لم يتكلم بالحق، لكنه لم يتكلم بالباطل وانه وان لم يصلح ، لكنه لم يفسد • • وكفى بذلك نفعاً .

قال الامام الباقر (عليه السلام) : « ان داود قال لسليمان عليهما السلام : يا بني ! اياك وكثرة الضحك ! فان كثرة الضحك تترك العبد حقيراً يوم القيامة • يا بني ! عليك بطول الصمت ! الا من خير . فان الندامة على طول الصمت مرة واحدة ، خير من الندامة على كثرة الكلام مرات • يا بني ! لو ان الكلام كان من فضة • ينبغي للصمت ان يكون من ذهب»

وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتعهد اصحابه من جهة الكلام • كما كان يتعهدهم من ناحيـــة الصلاة والزكاة ، فيلمح في كل مناسبة الى اضرار اللسان ، ويشير كل حين الى ما للثرثرة من عواقب •

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « اتى النبي اعرابي • فقـــال له : الست خيرنا أبًا واماً ، وأكرمنا عقباً ، ورئيسنا في الجاهلية والاسلام ???

فغضب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ! وقال : يااعرابي : كم دون لسانك من حجاب ؟! قال : اثنان : شفتان و اسنان • فقال (ص) : فما كان في احد هذين ما يردعنا عرب لسانك هذا ؟ ! اما انه لم يعط احد في دنياه شيئاً هو اضر له في آخرته ، من طلاقة لسانه . يا علي ! قم ! فاقطع لسانه فظن الناس أنه يقطع لسانه ، فأعطاه دراهم » ، ان على الرجل المسلم ان يتعهد لسانه • كما يتعهدالزارع زرعه. والا نبت من الطفيليات والأعشاب الضارة ، مايهلك الحاصل ، وتذهب اتعابه ادراج الرياح •

ومن راقب يوماً واحداً ندوة من الاندية ، ولاحظ كلام الناس وهذرهم · عرف الجنايات التي يحتقبها اللسان ، وفهم صدق قول الامام الصادق (عليه السلام) : « ما عبد الله بشيء افضل من الصمت ، والمشي الى بيته » ان الصمت تهذيب فردي . والذهاب إلى بيت الله الحرام تهذيب مجتمعي ، لما في ذلك من اجتماع المسلمين ، وتعرف بعضهم الى بعض ، وما يعود اليهم بذلك من خير . فهما من افضل العبادة •

وما جرح اللسان احداً بما يسبب دوام القيح ، وفساد القلوب

« جراحات السنان لهـا التيام ولا يلتام ما جرح اللسان »

قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام ، لسفيان : « يا سفيان ! أمرني والدي (عليه السلام) بثلاث ، ونهاني عن ثلاث ، فكان فيما قال لي: يابني؟

من يصحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يدخل مداخل السوء يتهم ، ومن لا يملك لسانه يندم ، ثم أنشدني :

عود لسانك قول الخير تحظ به ... إن اللسان لما عودت معتاد
موكل يتقاضى ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف تعتاد

يقال : إن لصاً دخل بيت حائك ، فاذا الحائك يحوك بزة قشيبة ، وسمعه يكرر ـ وهو يحوك ـ قولة : (اللهم سلم رأسي من حصيد لساني) ولما أتم الحياكة ، أخذ البزة وخرج يقصد بيت الملك ، فاتبعه السارق ، عله يحصل فرصة السلب ، حتى وصل الحائك بيت السلطان ، وقدم البزة ، فاعجب الملك بها ، واستشار وزرائه عمـا يصلح له ، فاشار كل بما يرتئيه ، وحين ذاك قال الملك : إن أعلم الناس بالصلح له هو الحائك ، ولما استشاره عن ذلك ، قال : إنها تصلح للالقاء على جنازة الملك .

فتغير الملك ، واستشاط غيضاً ، وأمر بقتل الحائك ، وإذا بالسارق يستمهل الجلاد ، ويبين قصته ، وما كان يتكلم به حين الحياكة ، فعفى عنه الملك بعد ما علم أنه لم يقل ذلك عن عمد .

وما أروع المثال الذي ضرب به الامام زين العابدين (ع) ، حيث قال : « إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه ، فيقول: كيف أصبحتم ؟ فيقولون : بخيرإن تركتنا ، ويقولون : الله الله فينا !! ويناشدونه

ويقولون : إنا نثاب بك ونعاقب بك » .

إن كثيراً من العقوبات تحل على الأعضاء ، بما جناه اللسان من شر فاذا تركها اللسان كانت سليمة ، وإلا وقعت في أذى وخبال .

وأي داع إلى الهذر بعد ما يضر كثير من الكلام ؟ وهل العاقل يجر إلى نفسه الويلات بمشتهى لفظ يلفظه ، وكلمة يتكلم بها ؟ وهنالك حفظة يحفظون حصائد الألسنة ليجزى الشخص بها في العرض الأكبر يقول الله تعالى : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ! » .

وقد استخلص الامام أمير المؤمنين (ع) من الآية الكريمة معنى بديعاً :

قال موسى بن جعفر عليهما السلام : (مر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب برجل يتكلم بفضول الكلام ، فوقف عليه ، ثم قال : يا هذا ! إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك ! فتكلم بما يعنيك ، ودع ما لا يعنيك) .

يا للهول ! كتاب إلى الرب ! لو كان الكتاب الى ملك من الملوك ، لتروى الانسان في تنميق الألفاظ ، وتخيير المعاني ، وتحبير الوجوه . كيف؟ والكتاب إلى إله الكون ، من بيده البدء والمعاد . ودع عنك حديث ان الكاتب ملك كريم . يصيبه من الكلمات البذيئة والاقوال الفارغة مايصيبه ! ولا يسبق إلى الذهن الساذج ، أن القصد ذم الكلام كيف كان .

إن كل شيء يرجح الوسط منه . لا اكثار ولا اقلال . ولا تفريط ولا افراط . ان الحق يلزم الجهر به ، والارشاد يجب سوقه ، والتربية والتأديب ، والتعليم والهداية ، كلها مندوب اليها . والغالب أنها تفرغ في الصيغ والألفاظ . فالكلام ههنا مرغوب فيه . وفي المثل : (الساكت عن الحق شيطان أخرس) .

(سُئل علي بن الحسين عليهما السلام : عن الكلام والسكوت ، أيهما أفضل ؟ فقال : لكل واحد منهما آفات . فاذا سلما من الآفات ، فالكلام أفضل من السكوت . قيل : كيف ذلك يابن رسول الله ؟ قال : لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت ، إنما بعثهم بالكلام . ولا استحقت الجنة بالسكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت ، ولا توقيت النار بالسكوت ..)

ان الأنبياء الكرام . والمصلحين العظام . أرشدوا وهدوا ، وأصلحوا ووجهوا .. بالكلام . ومن الغلط أن نظن الكلام في الاصلاح والحق هذراً . كما أن من الخبال ظن الحق باطلا . ان طهارة اللسان . لا يراد بها الالجام . بل نزاهته عن اللغو والباطل . لاعن الارشاد والذكر . فالمسلم نزيه اللسان ، طاهر الفم ، نظيف اللهات .

* * *

والمسلم طاهر الملمس، لا يسرق، ولا يخون، ولا يتبع الشهوات الجنسية من غير حلها ..

إن الاعتدال فى حركات اليد والرجل .. دليل الاعتـــدال فى النفس، فالنفس الأبية لا تهبط في مستوى الخسة والانحطـاط، وتحلق فى أجواء الطهارة والعفه.

الجهالة الاولى مع ما كانت عليه من وضاعة الأخلاق، وإنحراف السلوك، كانت تعد نزاهة اليد والرجل فضيلة يحمد صاحبها، وإن كان المجتمع ـ الذي منهم الحامد ـ مرتكساً فى بؤرة القذارة والانحطاط، وحين وقت المفاضلة بين جد النبي ﴿ﷺ﴾، وجد عزيمه، قال فيهما شاعرهم:

« أبوك معاهر، و أبوه عف .. »

وكانت العرب تُسمي محمداً ﴿ﷺ﴾: « الأمين » ..

إن السرقة جريمة، والخيانة جريمة، والزنا .. جريمة، تترفع عنها نفوس الأكرمين، وهكذا يأمر الاسلام باجتنابها.

وقد كان شرط اسلام المؤمنات ـ الذي كان يبتده بالبيعة للنبي ﴿ﷺ﴾ـ العفة والنزاهة، يقول الله تعالى: ﴿يا أيها النبي! اذا جائك المؤمنـــات، يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقـن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهـن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولا

يعصينك في معروف ، فبايعهن ، واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم ﴾ .

وليس صدفة عابرة أن يقدم الله تعالى اشتراط عدم السرقة والزنا ، على اشتراط عدم القتل ، ان القاتل قد يقتل لهيجان الأعصاب ، ثم يندم ، ولكن السارق والزاني ، لا يفعلان الجريمة الا ونفسهما ملوثة ، وضميرهما آثم أحاط به كدر القذارة !!

قال الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ : « كان أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يقول : أفضل العبـــادة العفاف » . وقال الباقر (عليه السلام) : « ما عُبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج » .

ان الاسلام لا يمنع عن الطيب من الاكل والزواج ، بل يحرص الحرص كله على اشباع هاتين الغريزتين من الموارد الطيبة المشروعة ، حتى لا يتسول البطن ، ويتلهف الفرج ، نحو المحرم القذر .

ان عفة البطن والفرج حقاً من أفضل العبادة ، وأي عبادة أفضل من التحصن عن المفاسد الأخلاقية التي بها ينهار المجتمع . فالزنـــا يسبب الأمراض الفتـــاكة ، ومراودة الولدان ، واقتناع الفتيات بالفتيات ، أفتك من الطاعون !!

قال الصادق (عليه السلام) « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أكثر ما تلج به امتي النار الاجوفان : البطن والفرج » . وقال (عليه السلام) : « قال (صلى الله عليه وآله وسلم) :

ثلاث أخافهن ـ بعدي ـ على اُمتي: الضلالة بعد المعرفة ، ومضلات الفتن ، وشهوة البطن والفرج » .

ولو نظر الانسان الى المجتمع المتخلخل المنهار ، لرأى السمة البارزة عليه هاتين الشهوتين .

في المجتمع المهزول ، تتولد جراثيم الفحشاء ، ثم تطغى وتطغى حتى تعم البيوت الشريفة . وحين ذاك تستحق تلك الامه اللعنة والبوار ، وفي الامم المنحطة تعم السرقة ، وتتبع الشهوات ، ولم يكن لأفرادها عمل غير امتلاء البطن من حل او حرام ، وقد كان رجل من (الشرفاء) ا يقول : (الحلال ما حل بالكف !!!)

ان طابع الامة المتقدمة ، والمدينة الراقية : طهارة البطن وما حوى، والفرج وما دنى .. ووسام الامة السافلة ، والجمعية المتفككة ، أن تحكم الشهوات فيهم ، فالمواخير عامرة ، والحرام سائد ، والنشـــاط معدوم ، والفسق بادي ..

والاسلام لا يريد الرجل على علاته بل يريـــد الرجل النظيف ، ويبالغ فى تنظيف القوى .

قال الامام الباقر (عليه السلام) ـ فى تفسير قوله تعالى : (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً ، يواري سوءآتكم ، وريشاً :ـ فأما اللباس فالثياب التي

يلبثون ، وأما الرياش فالمتاع والمال ، وأما لباس التقوى فالعفاف . ان العفيف لا تبدو له عورة ، وان كان عارياً من الثياب ، والفاجر بادي العورة وان كان كاسياً ..)

الفاجر مهتوك وان نزل فى قمة الجـاه ، وأحاط به تليد الأموال وطارفها ، فهو فاسق فحسب ، وكفى ، ويقرب أن يجرد عن ثيابه المزيفة ، فيبدو للناس كأبشع ما يكون ، تشير اليه الاصابع : انه فاجر ، انه عبد شهواته .. !!

والعفيف مستور ، وان نام عرض الشارع ، ولم يوقر له كبر ، ولم يحترم له مجلس ، انه عف عفيف ، وكفى ، مأمون مهاب ، له في القلوب مكانة ، وفي الصدور عظمة ..

ان العفة جهاد ، وجهاد كبير ! فان الآخذ بزمام البطن المستعر ، واللمس الملتهب ، أصعب من الجهاد فى ساحات المعركة ، ولذا قد يجاهد الجندي فى أواسط الموت والرعب ، ثم يركع جثياً حول مفاتن فتات أو دراهم معدودات ..

أتى رجل الى الامام الباقر (عليه السلام) ، فقال : اني ضعيف العمل ، قليل الصلاة ، قليل الصوم ، ولكن أرجو ان لا آكل الا حلالا ، ولا انكح الا حلالا . فقال (عليه السلام) : « وأي جهاد أفضل من عفة بطن وفرج؟ »

الاسلام يريد الرجل الطاهر المنزيه ،نزيه اليدنزيه الرجل ، نزيه البطن ..
وكذلك المسلم الصحيح ، نقي الصفات ، تقي السمات ..

** **

والمسلم طـاهر القلب ، سليم النفس ، حصين الروح ، لا يحسد ، ولا يرائي ، ولا يتكبر ، ولا يعتلي ، ولا يحقد ، ولا ينوي الشر ..

والاسلام يريد أن يكون ضمير الشخص أبيض من الثلج ، وأنق من اللجين ، وأصفى من الماء العذب ، يطوي على الخير ، ويثني على الحق ، يسع الدنيا برحبها ، ويشرق إشراق الذكاء فى رائعة النهار .

« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله ، يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » .

وليست إرادة الله كالطفيليات التي تنبت مع الزرع ، لا بذر لها ولا سابقة ، ان الحكمة العليا لا تفعل عبثاً ، ان المرء اذا اتبع شهواته ،وتنكب الطريق ، ولوى عن الحق ، وثنى عطفه ، لم يزدد عن الله الا بعداً ، وعن المنهج القويم الا ضلالا ، فيضيق صدره عن قبول الحق .

وليس كذلك المسلم . فهو سليم الطوية « والذين اهتدوا زادهم هدى » كيف يحسد المسلم ـ او بالأحرى : العاقل ـ وهو يعلم ان تفوق

آخرين عليه ، ليس إلا من فضل الله وحسن بلائه ؟ إن شكر وصبر كان له الأجر ، وان حسد وادبر ، كانت عاقبة امره خسراً .

ولم ينو الشر ، وهو يعلم : ان من يزرع الشر يحصد الشر ! وعلى من ؟ على عباده الله ! وما ينتفع بهذا ؟ عين الاذية والوخز !

ان صاحب الضمير النظيف فى اكبر راحة ، وخير سعادة ، وتعود سلامة الصدر الى : السليم نفسه قبل غيره ، فهو يعمل ويفرغ ، ويذهب ويرجع ، ويجتمع ويفترق .. مثلوج الفؤاد . فارغ البال . خفيف المنكب عن اعباء الحسد والحقد . والغل والاعتلاء ..

« اصبر على حسد الحسود . فانه هو قاتله

النار تأكل بعضها . ان لم تجد ما تأكله »

الحسد نار تأكل صاحبها . والغل والكبر .. كلها نيران محرقة . لاتبقي ولا تذر .

قال رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ : « قلب المؤمن أجرد . فيه سراج يزهر . وقلب الكافر أسود منكوس » أجرد من القذارات فيه سراج من النور يزهر . فيضيء أعضائه . ويشع من أجله كل جارحة من جوارحه . ان القلب السليم كالتربة النقية . ينبت فيها كل خير . فيؤتي أكله الشهي . والقلب المريض كالتربة المالحة ، لا تكون إلا عفنة مجة .

تتكون فيه الجراثيم، وتنتشر منه الأوبية . ففساد الاعضاء وصلاحها ناجمة من القلب .

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « ان منزلة القلب من الجسد : بمنزلة الامام من الناس الواجب الطاعة عليهم . ألا ترى : ان جميع جوارح الجسد شرط للقلب، وتراجمة له . مودته عنه : الاذنان والعينان والانف . والفم . واليدان . والرجلان . والفرج ؟

فان القلب اذا هم بالنظر فتح الرجل عينيه ، وإذا هم بالاستماع حرك اذنيه وفتح مسامعه فسمع، وإذا هم القلب بالشم إستنشق بأنفه، فأدى تلك الرائحة إلى القلب ، وإذا هم بالنطق تكلم باللسان ، وإذا هم بالحركة سعت الرجلان ، واذا هم بالشهوة تحرك الذكر .

فهذه كلها مودية عن القلب بالتحريك .. »

وسلامة القلب لا تحصل عبثاً واعتباطاً ، بل تحتاج الى مراقبة مستمرة ، وكدح دائم ، ومواظبة طويلة ، وتنقية أثر تنقية ..

وللقلب تعاريج وملتويات ، ربما يظن الشخص : أنه صفا نفسه عن كدر الرذيلة ، فهي طاهرة نظيفة ، حتى اذ اهتاج فى القلب عرق الحسد او الحقد او . او . لم يملك زمام نفسه ، وظهر خفي الاخلاق القذرة !

وقد تنبعث الحركة عن النفس عفواً ، فيظن الشخص فيها خيراً ،

ولكنها تنفس حقد مكتوم ، او حب جاه محمود ، او نوايا شر مكظوم ..

وحقاً ان مرض القلب من أخطر الامراض ، فانه لو فسد يفسد الجسد كله ، فهو كالسرطان الذي ينبت في اللحم ثم لا يزال يمد يده ورجله الى الاعضاء ، حتى اذا صادف موضعاً حساساً أهلك المريض ولا تبقى منه باقية .

ان مرض القلب يفسد العاجلة والآجلة ، والدنيا والدين ، فكل مرض لا يعد شيئاً بالنسبة اليه ، وان اودى بروح الحي ، فالحد مقبوراً .

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : « في الانسان مضغة ، إذا هي سلمت وصحت ، سلم بها سائر الجسد ، فاذا سقمت ، سقم لها سائر الجسد وفسد ، وهي القلب » .

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه ، فقال : « يا بني ! ان من البلاء الفاقة ، وأشد من ذلك مرض البدن ، وأشد من ذلك مرض القلب ، وإن من النعم سعة المال ، وأفضل من ذلك صحة البدن ، وأفضل من ذلك تقوى القلوب » .

إن سليم القلب في أعظم النعم ، يرضى بالقسمة ، فلا يحزن ، ويعلم أن ما آتى الله غيره لحكمة فلا يحسد ، ويدري ان عز الدنيا لا ينفع ، فلا يتكبر ، ويتيقن بأن الأعمال الخالصة هي المقبولة ، فلا يرائي ..

وكما ان مرض القلب الجثماني يسبب ضعفاً عاماً في جميع المشاعر ، وصاحبه معرض السكتة ، كذلك مرض القلب الروحاني ، يوجب خبالا شاملا في الاعضاء ، فاضطراب الحواس دليل على اضطراب القلب .

قال أمير المؤمنين ﴿ عليه السلام ﴾ : « أعجب ما في الانسان قلبه !!! وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافها ، فان سنح له الرجاء أذله الطمع ، وان هاج به الطمع أهلكه المرض ، وان ملكه اليأس قتله الأسف ، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن سعد بالرضانسي التحفظ ، وان ناله الخوف شغله الحذر ، وان إتسع له الأمن استبلته العزة ، وان جددت له النعمة اخذته الغرة ، وان اصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان استفاد مالا اطغاه الغنى ، وان عضته فاقة شغله البلاء ، وان جهده الجزع قعد به الضعف ، وان أفرط في الشبع كظته البطنة .

فكل تقصير به مضر ، وكل افراط به مفسد » .

إن سليم القلب سليم الأعضاء والمشاعر ، ومريض القلب مريض الاعضاء والمشاعر .

والسليم ـ أي شخص كان ، وفي أية وثبة كانت ـ أفضل من المريض .

* * *

والمسلم طاهر الجسد من المنفرات ، نظيف البدن عن القذارات ، نظيف كل شيء منه وله وإليه ..

ولقد اهتم الاسلام بالنظافة أكبر اهتمام حتى قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « النظافة من الايمان ! » .

نعم : من الايمان ! فغير النظيف ليس بكامل الايمان !

والنظافة شُعب : نظافة الجسد ، ونظافة اللباس ، ونظافة الدار ، ونظافة البلد .. وكلها مطلوبة ، مندب إليها الاسلام ، وحث المسلمين بها ، بل ربط بين الفطرة الانسانية التي هي من مقومات الحياة ، وبينها .

انها كذلك أمر فطري ، فالفطرة كما تتطلب الماء والغذاء ، والدفء والنور .. كذلك تتطلب النظافة والطهارة .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « خمس من الفطرة : تقليم الأظفار ، وقص الشارب ، ونتف الابط وحلق العانة ، (والختان ـ ظ ـ) » .

إن الانسان ـ وأقول : انسان ، فحسب ـ يتنفر من القذر ، كما يتنفر من الجوع والعرى ، فهو من الفطرة ، التي خلق في صيغتها .

قال الامام الكاظم (عليه السلام) : « خمس من السنن في الرأس ، وخمس في الجسد : فاما التي في الرأس : فالمسواك ، واخذ الشارب ، وفرق الشعر ، والمضمضة ، والاستنشاق . واما التي في الجسد ، فالختان ، و حلق

العانة ، ونتف الابطين ، وتقليم الاظفار ، والاستنجاء » .

النظافة مظهر من مظاهر النفس ، فالنفس النظيفه تبعث على النظافة ، والنفس القذرة تبعث على القذارة .

والنظافة جزء من أجزاء الجمال ، لا يتم الجمال إلا بها ، وقد تكسب القبيح جمالا وورونقاً .

وفي الحديث : « ان الله جميل ، يحب الجمال » .

وفي حديث آخر : « بئس العبد القاذورا »

وقد نفر نبي الاسلام عن القذارة بعبارات مختلفة . وألفاظ وأمثلة . وكان هو بنفسه مثالا حياً للنظافة في حله ومرتحله .

قال الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ : « لا يطولن احدكم شاربه ، ولا عانته ، ولا شعر ابطه ، فان الشيطان يتخذها مخابي يستتر فيها » ان الشيطان قذر يأمر بالقذر ، ويسكن فى القذر ، ويألف الى القذر ، فكل عمل قذر وقول ومظهر قذر ، فهو منه .

والله تعالى جميل طاهر ، يأمر بالجمال والطهارة ، ويحبهما :

﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ .

ولقد جعل الاسلام النظافة من اشراط الايمان ، حتى قال رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يترك

حلق عانته فوق الاربعين يوماً، فان لم يجد فليستقرض بعد الاربعين ولا يؤخر ».

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر !! المبد والمعاد يتوسطها النظافة، هذه النظافة التي لاتلمحها العيون، فكيف بالنظافة في المواضع الظاهرة ؟!

فان لم يجد فليستقرض : القرض المكروه لدى الشريعة في غير ضرورة !!

إنها تأكيدات تستجلب النظر، وتبعث على التأمل ...

ولا عجب بعد ذلك ان عَدّ التنظيف الامام الرضا (عليه السلام) من أخلاق الأنبياء.

قال (عليه السلام) : « أربع من أخلاق الأنبياء : التطيب، والتنظيف بالموس، وحلق الجسد بالنورة، وكثرة الطروقة ».

الأنبياء بجانب أنهم مأمورون بتبليغ شرائع الله الروحية، وانهم من أكثر الناس تمسكاً بالمعنويات، متمسكون بالجوانب الجسدية، حتى أنهم لا يغفلون عن اصغر صغيرة تزيد الانسان نظافة وجمالا، حتى لو كانت شعرة في الانف.

قال الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ليأخذ احدكم من شاربه، والشعر الذي في انفه، وليتعاهد نفسه، فان ذلك يزيد في جماله »

واهتم الاسلام بشعر الرأس واللحية ـ لمن كانت له ـ فأمر بتمشيطهما حتى لا يبقى شعثاً ، كريه المنظر .

« فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتمشط ويرجل رأسه ٠٠ ويرجله نسائه ٠٠ وكان يضع المشط تحت وسادته ٠٠ » .

وكان ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ يقول : (تسريح الرأس يذهب بالوباء ، ويجلب الرزق ، ويزيد في الجماع) .

قال الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ : (قال النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ : الشعر الحسن من كسوة الله فاكرموه) .

وقال ﴿ عليه السلام ﴾ : (من اتخذ شعراً فليحسن ولايته ، أو ليجزه) .

وكان ﴿ ص ﴾ يؤكد في السواك تأكيداً بليغاً .

فقد قال (ص) : (في المسواك اثنتا عشرة خصلة : مطهرة للفم ، ومرضات للرب ، ويبيض الاسنان ، ويذهب بالحفر ، ويقلل البلغم ، ويشهي الطعام ، ويضاعف الحسنات ، وتصاب به السنة ، وتحضره الملائكة ، ويشد اللثة ، وهو يمر بطريقه القرآن ، وركعتان بسواك أحب إلى الله عز وجل من سبعين ركعة بغير سواك) .

وكان يبالغ في تنظيف الفم ، قال الرضا ﴿ ع ﴾ : (قال رسول الله ﴿ ص ﴾ أفواهكم طرق من طرق ربكم ، فنظفوها) .

وكما ان تنظيف الجسد محبوب مرغوب فيه ، كذلك تطييبه ، حتى يرغب الناس فى المجالسة ، ولا يتنفرون عن المجتمعآت والاندية .

وقد كان رسول الله ﴿ ص ﴾ يتطيب بالمسك والعنبر ، وبالغالية ، وربما تطيبه بها نسائه بأيديهن ، وكان يكثر من العطر ، حتى ان الناس يعرفوه فى الليل المظلم من ريحه الطيب .

وقد حث الاسلام أبلغ الحث المسلمين بذلك .

قال الامام الصادق ﴿ ع ﴾ : (لله حق على كل محتلم في كل جمعة: اخذ شاربه واظفاره ، ومس شيء من الطيب) .

والاستحمام مستحب لما فيه من إزالة الوسخ . والاسلام أوجب فى كثير من الاحيان غسل جميع البدن ، كما ندب فى كثير من الاوقات ، ولكثير من الافعال غسل تمام الجسد ، وليس ذلك إلا حفظاً للنظافه ، وإزالة للقذارة .

قال أمير المؤمنين (ع) : (نعم البيت الحمام : تذكر فيه النار ، ويذهب بالدرن) .

وقد كان من حرص الاسلام على النظافة العامة للجسد ان ندب الى الحمام

قال الصادق (ع) : (ثلاثة يسمن ، وثلاثة يهزلن ، فأما الذي يسمن : فادمان الحمام ، وشم الرائحة الطيبة ، ولبس الثياب ..) .

ويأتي بعد تنظيف الجسد وتجميله ، دور تنظيف الثياب وتحسينها .

وقد اهتم الاسلام بذلك اهتماماً بالغاً ، حفظاً على اناقه المسلم وجماله .

قال رسول (ص) : (من اتخذ ثوباً فلينظفه) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن ، و هو طهور الصلاة) في حديث آخر عنه (ع) : (غسل الثياب يذهب الهم والحزن ، وهو طهور للصلاة) .

ان الشخص إذا نظر إلى ثوبه فرآه قذراً ، حزن ، وطبيعي ذلك فان العين تحتاج إلى المتعة ، كما ان الاذن وسائر الحواس تحتاج اليها . ومتعة العين المناظر الحسنة ، والمباهج الجميلة .

وليس ما ورد فى الحديث : (ثلاثة يذهبن الحزن : الماء والخضرة والوجه الحسن) إلا إشارة إلى هذا الأمر الفطري .

إذاً فالثوب النظيف بنفسه ، أو بالغسل ، من مذهبات الحزن ، وأسباب الفرح .

والله تعالى لا يقبل من الصلاة إلا ما كانت فى الثياب الطاهرة ، ويزيد ثواباً لمن صلى فى ثوب نظيف ، انه دين ودنيا : جمال وصلاة ، ونظافة ومرضات لله .

وكذلك الاسلام : يرى الدين والدنيا شيئاً واحداً ، فمن لا دين

له لا دنيا له ، ومن لا دنيا له لا دين له،وعلى هذا وَرد الحديث : * ليس منا من ترك آخرته لدنياه ، وليس منا من ترك دنياه لآخرته * .

وتذهب الشريعة إلى أبعد من ذلك .

فيقول الامام الصادق * ع * : * الثوب النقي يكبت العدو * ان العدو إذا نظر الى الرجل ، وهو قذر وسخ الثوب ازدراه ، ومن ازدرى شخصاً تجرء عليه ، لكن الثوب النقي النظيف ، يعظم الرجل فى الأعين ، وبذلك يتوازن الاكفاء ، ان لم ترجح كفة النظيف على عدوه .

وليس هذا فحسب : بل فوق ذلك ، ان الله يحب أن يرى الثوب الثمين على جلد عبده الذي أنعم عليه .

وقد أفحم الصادق * ع * عباداً : الذي كان يزعم ان الثياب الفاخرة من زينة الحياة الدنيا التي لا ينبغي للمسلم ان يتزيى بها .

قال ابن القداح : * كان أبو عبد الله متكئاً علي ـ إذ قال : على ابى ـ فلقيه عباد بن كثير وعليه ثياب سروية حسان ، فقال : ياأبا عبد الله ! انك من أهل بيت النبوة ، وكان أبوك وكان ! فما لهذه الثياب المزينة عليك ؟! فلو لبست دون هذه الثياب . فقال له أبو عبد الله : ويلك ! يا عباد !

* من حرم زينة الله التي اخرج لعباده ، والطيبات من الرزق؟ *

إن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة ، أحب أن يراها عليه ، ليس به بأس .. *

وتصل النوبة ـ بعد تنظيف الجسد والثيـــاب ـ إلى تنظيف البيوت وما إليهـا .

والاسلام رغب فيه ، كما رغب في الأولين ـ اذ المـــدار في الكل واحد .

قال رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » « لا تبيتوا القمامة في بيوتكم ، واخرجوها نهاراً ، فانها مقعد الشيطان * .

وقال أمير المؤمنين * عليه السلام * : * نظفوا بيوتكم من حوك العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر * .

وجود القمامة ، وحوك العنكبوت . يورثان ضعفاً في الدين ـ فانها مقعد الشيطان ـ وفقر في الدنيا .

ولا علاج الا بالنظافة ، والنظافة وحدها ، فهو دين وغنى ..

وهكذا يؤدب الاسلام أتباعه ، لا يرضى بحوك العنكبوت وبقاء القمامة والنفايات ، فكيف بغيرها ؟!

ان الدين يحارب القذارة بجميع مظاهرها ، ولو كان منديلا غمراً .

قال رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » : « لا تبقوا منديل اللحم في البيت ،

فانه مربض الشيطان . ولا تبقوا التراب خلف البـاب . فانه مأوى الشيطان »

ان القذارة من عادات اليهود . فلا ينبغي للمسلم ، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، ان يتشبه بمن يعادي الله ، ان الله جميل يحب الجمال .

قال رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » : « اكنسوا افنيتكم ولاتشبهوا باليهود »

وقد أجمل الامام الصادق الميزان الذي يلزم أن يزن المسلم نفسه به ، مما يعم ما سبق ، وما لم يذكر .

قال « عليه السلام » « ان الله يحب الجمال والتجمل ، ويكره البؤس والتبوءس ، فان الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة . أحب أن يرى عليه اثرها .

قيل : وكيف ذلك ؟

قال : ينظف ثوبه ، ويطيب ريحه ، ويحسن داره : ويكنس افنيته ، حتى ان السراج قبل مغيب الشمس ، ينفي الفقر ويزيد في الرزق »

الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تلتقي في النظافة والطهارة ..

ولو جمع الآثار التي وردت عن الرسول والأئمة صلوات الله عليهم ، بصدد النظافة والجمال من غُسل ووضوء . وغَسل وتطهير ، وتطيب وتنوير وكنس و تنظيف .. لبلغت مجلدات .

أدب العبادة

عبادات الشريعة الاسلامية ، وان ظهرت ـ بادي النظر ـ اموراً روحية لا علاقة لها بالفضيلة فهو صلاة لله ، وحج لبيت الله ، وزكوة تعطى قربة إلى الله ، وصوم يراد به وجه الله ..

إلا أنها لدى الدقة من أسمى الأخلاق .

وقد عين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : صبغتها العامة التي شرعت لاجلها يوم قال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

فهي عبادة إلى جنب كونها من مكارم الاخلاق .

بل أزيد من ذلك : هي تطهير روحي ، وعبادة ، وتنظيم للاجتماع .. كما هي الطابع العام لكل ناحية من نواحي الاسلام .

حتى يصعب التفكيك بين النواحي المختلفة المنصبة على حكم أو أمر ونهي ..

وإن كانت السمة البارزة لبعضها العبادة ، ولبعضها الفضيلة ، ولبعضها الحدود ، ولبعضها تنظيم الاجتماع ..

لكن نظر الاسلام الى الكون حيث كان نظراً موحداً :

الاله واحد ، والأفراد سواسية كأسنان المشط ، والكتاب واحد ، والرسول واحداً ، والمعاد الى الله واحد .. كان كل تشريع من تشريعاته ملتقى لمناحي الحياة المختلفة : الروح والجسد ، والدنيا والدين ، والعمل والعبادة ..

ولنلقى الآن نظرة خاطفة الى ناحية الأخلاق ـ أو الروح ، بعبارة أدق ـ من نواحي العبادة ، حتى نرى انها من مكارم الأخلاق .

* * *

ان شرائع السماء كلها تقصد شيئاً واحداً ، وهو تهذيب النفس التي هي اللبنة الاولى فى المجتمع ، وبالتهذيب ، ترتقى النفس فى مدارج الكمال ، فينظم الكون ، وبهذا التنظيم تصلح الدنيا والاخرى .

وليس التهذيب الا تطهير الروح ، وتعديل خط المسير ، حتى لا ينحرف يميناً وشمالا . وهو مكارم الأخلاق :

ان عرفان خالق الكون خلق كريم ، وهو وسط بين القول بالنفي ، والقول بالتعدد والخرافة .

ومعرفة سفرائه خلق كريم ، وهو وسط بين النفى ، والكذب بجعل من ليس بسفير سفيراً .

ومعرفة العود إليه خلق كريم ، وهو وسط بين السلب ، والخرافة فى نحو المعـاد .

أليس : نكران المنعم بعد عن الفضيلة والأخلاق ؟ أليس عـــدم تقدير الوسيط فى العلم والتكميل والهداية خلاف الانسانية ؟ أليس التعامي عن الجزاء ينافي الأخلاق الرفيعة ؟

وهكذا شأن سائر ما جاءت به الشرائع .

فالشرائع كلها مكارم الأخلاق .

والنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما جاء ليتمم مكارم الأخلاق ، ويفرغها فى صيغتها الأخيرة .

يبين حدودها وأطرافها ، ويهدي إلى مقاييسها وموازينها ، ويرشد نحو الطريق المستقيم ، الذي من زاغ عنه هوى في مهوى سحيق .

* * *

الصلاة ـ وهي من عبادات الاسلام ، وعبادات سائر الاديان السابقة ـ تطهير وتهذيب ، وتذكير بالفضيلة ، وتنزيه عن الرذيلة .

تبتدء بالتكبير لله المنعم ، وهو فضيلة ، وتنتهي بالسلام على البشر

والملائكة ، وهو فضيلة .

وهي تذكير بنعم الخـــالق : رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، الذي بيده المحكمة الجزائية : مالك يوم الدين .. وتنزيه للرب العظيم الأعلى ..

ومن يعلم هذا ويتوجه إلى هذا الملك القدير ، فيعرفه ، ويكرر اللقاء كل يوم خمس مرات : في مساه ومصبحه ووسطاً من النهار ، تتطهر نفسه ، وتخلص من الكدورات ، وبذلك يستقيم مسلكه ويبتعد عن الآثام والرذيلة .

ولذا ورد في القرآن الكريم : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشـــاء والمنكر ﴾ .

ومثلها النبي ﴿ ﷺ ﴾ : « بالنهر الجاري الذي يغتسل الشخص فيه كل يوم خمس مرات » .

لا درن ولا قذارة ، بل طهارة ونظافة ، وتعـــديل سلوك ، وعرفان حقائق .

إنها حقاً مكرمة من مكارم الأخلاق .

وفضيلة من الفضائل !

وإلى جنب ذلك كله : حس بالوحدة الانسانية الكبرى : إياك نعبد ـ لا ، اعبد ـ وإياك نستعين ـ لا ، استعين ـ . فالمصلي يرى نفسه

واحداً من البشر ، يطلب لهم الخير من الاله العظيم .

وحس بالوحدة الانسانية الكبرى : فى اجتماع يضم بين الشريف والوضيع ، والغني والفقير، والعالم والجاهل .. في الجمعة والجماعة .

وهذا الحس نواة للتألف والتراحم .. وكلهـــا فضائل بشرية ، وأخلاق ساميه .

وهل الأخلاق الرفيعة إلا هذه ؟!

* * *

والصوم : قربة وتطهير .

قربة إلى الله ، وزلفى لديه ، انه خاص به ، وإلا فما يمنع الشخص من الاكل والشرب .. فى الخلاء لا يراه أحد ، ولا يعلم به احد .

وبذلك يتولد الشعور بالمسؤولية أمام المالك العظيم ، ثم ينمو هذا الشعور حتى يسيطر على جهاز الجسم كله ، وبه يبتعد عن الرذيلة ، وفي الحديث القدسي : « الصوم لي .. » .

والصوم : جهاد مع النفس ، ورياضة بها تتقوى على تحمل المكاره ، والصبر عند الشدائد .

أليس يمتنع عن الاكل وهو يشتهيه ؟ ويرتدع عن الملامسة ونفسه تتوق اليها ..

إن الصائم يشعر بالجوع والعطش .. فيطهر روحه ، وتسمو نفسه ، ويجتمع بفكره مع الفقراء فيحس بألمهم ، ويدرك ما يدركون ، فيرق لهم ويعطف عليهم .

ثم : شهر رمضان اجتماع فى الليالي بالعبادة ، وتفرق فى النهار بالمعاش .. كله جد وعمل دنيا وآخرة ، تبادل الحب ، واجتماع فوق صعيد الطهارة ، وتحليق في أجواء الروح .

أليس هذه من الفضيلة ؟

ويلمح إلى هذا تعقيب الآية : ﴿ كتب عليكم الصيام ، كما كتب على الذين من قبلكم .. ﴾

بقوله : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ .

تقوى من الرذيلة ، وتقرب إلى الفضيلة .

* * *

والحج : مؤتمر بني الانسان ، من كل الاقطار : لا عرب ولا عجم ، ولا شرق ولا غرب ، ولا لسان ولا لون .. « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » .

فهو كالعمود الفقري الذي يحفظ الانسان عن التضعضع والتفكك .

وهو امتناع عن الملذات وتطهير عن الذنوب ، وتذكرة ليوم

العرض الأكبر .

هنا علم الخير والفضيلة : الكعبة الكريمة ، يطاف بها ، تأثيراً الى : أنـــا نطوف حول الفضيلة والخير ، كما نطوف بأجسامنا حول بيت الله : الله الذي هو جميل وحق وعدل .. وكل خير .

وهناك علم الشر والرذيلة : الجمار امثلة الشيطان ، تُرمى ، اشارة الى : انا نرمي الشر ونقذف بهـا الى جانب ، فلسنا من الشر والرذيلة ، وليست الرذيلة والشر منا ..

والناس يجتمعون فى صعيد واحد ، كلهم محرم ، كلهم مجتنب عن لوازم الجسم ، كلهم بلون واحد كلهم في مكان واحد : عرفات ، ومزدلفة ، ومنى .. كلهم أمام رب واحد .

أتعقل فضيلة أحسن منها ؟!

* * *

والجهاد : تحطيم للقيود والأغلال ، وإطاحة بعروش الظالمين ، وتهديم لا بنية الرذيلة والزيغ « ويضـــع عنهم اصرهم ، والاغلال التي كانت عليهم » .

إنه جهاد مع الاعداء « الذين لا يدينون دين الحق » .

وجهاد مع النفس ، بتنقيتها من الرذيلة ، وتنميتها بالفضيلة .

كي تتخلى عن الكذب ، والخيانة ، والرياء ، والاستعلاء ، و . و .
وتتحلى بالصدق ، والأمانة ، والاخلاص ، والتواضع ، و . و .

* * *

والزكوة والخمس والفطرة والكفارة .. تأليف بين الغني والفقير ، واشاعة الحب بين الطبقات ، وترفيع للمستوى المادي ، فيترفع المستوى الأدبي .

يقول الحديث : « من لا معاش له ، لا معاد له » .

ثم هي نبذ للشح . وطهارة للنفس ، وترقيق للمشاعر ، وتحلية بالسخاء ، وعطف على المستضعف ..

وكلها أخلاق وفضائل ، وتدعيم للاجتماع . ودفن للرذائل الراسية .

* * *

ولا أظنني بحاجة إلى ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إنها مجاهرة بالحق ، وصراحة في المنطق ، وتهذيب للمجتمع ، وشجاعة ضد الباطل .

أمر بالخير ، وكفى !

ونهي عن الشر ، وكفى !

وهما دعامة كل اجتماع . وعماد كل فضيلة . وامتداد كل خير .

ان المجتمع كالقصر المشيد ، إذا رمم كلما تقصر منه جانب ، وشيد كل دعامة لحقها الخراب ، بقي أنيقاً قابلا للسكنى ، ولو ترك بحاله ، لم يمض إلا يسير ، حتى تناله يد الانهدام .

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إنهما ترميم للمجتمع عن الانهيار ، وحفظ له عن الخراب والفناء ، فهما فضيلة ، وأساس كل فضيلة .

* * *

ولاية الأخيار ، والبراءة من الاشرار : تطهير للنفس ، ومشايعة للفضيلة ، وإنقطاع عن كل شر ، والمرء يعرف بمهواه ، كما يعرف بمجانسه ، فكل هاو يتتبع المهوى ، وكل مجانس يتخلق بأخلاق المجانس .

« إن الطيور على اشكالها تقع » .

وفي الحقيقة : ان التولي لأولياء الله ، والتبري من اعدائه ، وقاية وعلاج : وقاية عن استشراء الرذيلة ، وتوسع القذارة ، وعلاج لمن رسب في نفسه الشر . والتائث بالباطل .

هذه نتف عن جوانب العبادة الأخلاقية .

وبالفعل نرى كل ملتزم بها ، أقل شراً ، وأكثر فضلا ونظافة .

فكل سرقة وخيانة ، وافك ، وشهادة زور ، و . و . تجتمع في

حقائب التاركين ويندر أن ينضح منهم الى المتعبدين .

وبهذه اللمحة الشاردة إلى روح العبادة ، تتبين ما ذكرناه أولا : من إجتماع الفضيلة فى العبادات ، كما أن العبادة سارية فى الفضائل .

فكل من العدل والاحسان والتعاون على الخير .. عبادة أن قصد بها وجه الله ، وخلصت من نزوات النفس .

كما ظهر معنى حديث الرسول ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .



الألفة والوحدة

بنو الانسان بعضهم من بعض ، وجملتهم واحدة لا انفصام لها .

مثلهم كمثل الاعضاء فى الشخص الواحد ، لايستغني احدها عن الآخر ، كما لا غنى للانسان إلا بها أجمع .

فالاذن لا تقوم مقـام العين ، والرجل لا تفعل ما تفعله اليد ، .. والشخص بغير لسان ناقص ، وإن اكتمل من سائر النواحي ..

وقد خلق الله الكون وحدة يرتبط بعض أجزائه ببعض ، وإن ابتعدت الاجزاء ، فالشمس وان ابتعدت عن الارض ملائين كيلوات تضيئها وتبعث الدفء والحياة اليها ، والماء مرتبط بالهواء ، والحرارة تناط بها الاحياء ..

وليس الانسان إلا احد أجزاء هذا الكون الموحد ، فليكن بعضهم دعامة بعض ، وأحدهم معين الآخر .

وبالفعل لا غنى لأي فرد عن المشاركة مع بني نوعه ، هذا يزرع ،

وذاك يحصد ، وأحدهم يعجن ويخبز .. وذاك يندف ، وغيره ينسج، وثالث يخيط .. وواحد يبني ، وآخر يسكن ..

ثم الانسان محتاج إلى أبناء جلدته ، في المشاعر والعواطف ، والحب والبغض ، والفرح والغضب ، والتعليم والتعلم ، والانس والعطف .. كلها تحتاج إلى أطراف يجذبونها ، ويتبادلون أخذها وعطائها فهذا يحب ذاك ، وذاك يعطف على الآخر ..

وهناك من الاعمال والاقوال والاحوال ، ما لاتقوم بنفس واحدة فالصدق والحياء والعدل والأمانة .. كلها تجري في أطراف .

إذاً : فلا مفر للانسان عن التعاون والتشارك ، حتى يتم النظام ، وتسير الامور ..

وهذه الغرائز هي التي أوجبت الاجتماع وبناء المدن ، وازدهار حضارات ..

والاتحاد ـ بعد ذلك كله ـ قوة : قوة في النفس ، وقوة في العمل .

ان من يعرف أن له معاونا ، تتقوى نفسه ، وتشتد عزيمته ، وتنفذ ارادته ، ثم تقوى عضلاته ، ويفور دمه وبذلك يكون أقرب إلى النصر ونجاح الأمر .

وقد طلب نبي الله موسى (عليه السلام) ـ وهو رسول عظيم من اولي العزم ـ

من الله تعالى مشاركة أخيه : هرون ، في الدعوة ﴿ وأجعل لي وزيراً من أهلي ، هرون أخي ، اشدد به ازري ، واشركه في أمري ﴾ حيث علم أن به شد الازر ، وتمام الأمر .

الذئاب ـ كما ينقل عنها ـ تدرك هذه الحقيقة ، فتجتمع وتصير قطعاناً حيث تريد طلب الغذاء .

والطيور ـ كما نريهـا فى السماء ـ لا تسير إلا اسراباً ، ولا تعيش إلا مجتمعاً .

والنحل والنمل ـ وهما من صغـار الحيوان ـ تهيء شؤنهـا ، وتدير امورهاً بالاجتماع .

وقد ضرب أحد الملوك ـ لأولاده ـ أروع الامثلة : طلب حفنة من القصب ، وشد بعضها إلى بعض ، ثم ناولها كل واحد من أبنائه ، وطلب منهم كسرها ! فلم يتمكن أحدهم من ذلك . ثم نثرها وناولهـا أحد أولاده ، قصبة قصبة ، فكسرها جميعاً ، فقال : انكم إن اجتمعتم كان أمركم رشداً ، ولم يقدر عليكم احد ، وان تفرقتم أبادكم ـ واحداً واحداً ـ كل طامع .

وقد اهتم الاسلام بالالفة والوحدة أكبر اهتمام .

فحين قدم النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ إلى المدينة آخا بين أصحابه ، وكانت

هذه أول طلائع النصر والقوة .

وأمر القرآن المسلمين بالوحدة فقال :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ﴾ .

﴿ فأصبحتم ـ بنعمته ـ إخوانًا ﴾ .

﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، إنه عزيز حكيم ﴾ .

وبعد هذا لاوجه للعجب من حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : الذي يجعل استفادة الأخ تلو الاسلام .

قال الصادق (عليه السلام) : « لا يرجع صاحب المسجد بأقل من إحدى ثلاث : اما دعاء يدعو به يدخله الله به الجنة ، واما دعاء يدعو به فيرد الله عنه بلاءاً ، وأما أخ يستفيده في الله عز وجل .

ثم قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما استفاد امرء مسلم فائدة ـ بعد فائدة الاسلام ـ مثل أخ يستفيده فى الله » .

فانضمام رجل إلى رجل ـ فى نظر نبي الاسلام ـ يتلو الاسلام فى الأهميــة ، فالاسلام صلاح للدين والدنيا ، والأخ صلاح للدين والدنيا ، لكن على شرط أن يكون : « في الله » للصلاح والخير ، لا فى الشيطان،

للشر والعصيان .

ان الاخ هو اللبنة الأولى في بناء الاجتماع ، فهو الحجر الأول للالفة والاتحاد ، وهكذا ينظر الاسلام الى الأخ الصالح ، حتى أنه يقرر ثوابًا ضخمًا لمجرد ذلك : مجرد استفادة أخ :

يقول الامام الرضا (عليه السلام) : « من استفاد أخًا في الله ، فقد استفاد بيتًا في الجنة » .

أليست الجنة نصيب الصلحاء ؟ وأليست الاخوة صلاحًا ؟ فاستفادة الأخ استفادة شطر في الجنة .

وليست الاخوة باللسان ، فحسب ، انه أضعف المراتب، والاسلام لايرضى بها ، وانما يريد الاخوة العميقة ، فالاخوان كالأعضاء ، ترتبط بعضها ببعض بعروق وأعصاب ، ولحم ودم ...

قال الصادق (عليه السلام) : « المؤمنون في تبارهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد ، اذا اشتكى تداعى له سائره بالسهر والحمى » .

بل وأبعد من ذلك : « لا والله لايكون المؤمن مؤمنًا أبدًا ، حتى يكون لأخيه مثل الجسد ، اذا ضرب عليه عرق واحد ، تداعت له سائر عروقه » كذا يقول الامام الصادق (عليه السلام) . !!

وما أجمل المثال ، وأغور عمقه ، وأطول جذوره ، وسيقانه :

« اذا اشتكى تداعى له سائره بالسهر والحمى » .

ليس انه يسوئه ، فحسب ، بل يتداعى بالسهر والحمى ، إنه مثال ظريف رائع ، وهو يطابق الواقع تمام المطابقة .

إن كل فرد عضو الاجتماع ، وهو يفقد ميزاته إذا فقد منه عضواً، أو أصابه مرض ..

وكيف لا يكون كل فرد عضواً ، والحال ان جسم البشرية مركب من هذه الافراد ؟

والدين حيث كان صلاحاً الدنيا ، وتهيئة للآخرة ، لابد وأن يجعل رصيده الاخروي من عناصره ، يقول الامام الصادق (عليه السلام) : « من حب الرجل دينه ، حبه أخاه » .

إنه من الدين ، بل من أعظمه .

قال الامام الباقر (عليه السلام) : « قال جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أيها الناس ، حلالي حلال إلى يوم القيامة ، وحرامي حرام إلى يوم القيامة ، ألا وقد بينهما الله عز وجل في الكتاب ، وبينهما لكم فى سيرتي وسنتي ، وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي ، من تركها صلح له أمر دينه ، وصلحت له مروته وعرضه ، ومن تلبس بها ووقع فيها ، واتبعها كان كمن رعى غنمه قرب الحمى ، ومن رعى ماشيته قرب الحمى ، نازعته نفسه إلى

ان يرعاها في الحمى ، ألا وان لكل ملك حمى ، وان حمى الله عز وَجل محارمه ، فتوقوا حمى الله ومحارمه !

ألا وان وُد المؤمن من أعظم سبب الايمان !

ألا ومن أحب فى الله عزوجل ، وابغض فى الله ، واعطى في الله ومنع فى الله ، فهو من أصفياء المؤمنين عند الله تبارك و تعالى !

ألاَ وإن المؤمنين إذا تحابا في الله عز وجل ، وتصافيا فى الله ، كانا كالجسد الواحد اذا إشتكى أحدهما من جسده موضعاً ، وجد الآخر ألم ذلك الموضع » .

* * *

والاسلام لأجل التحفظ على هذا المعنى النبيل « الألفة والوحدة » يضع نقاطًا ثلاثًا تحت النظر ـ كما هو عادة الاسلام فى كل ترغيب وترهيب ـ

١ ـ الحث البالغ على الالفه والوحدة ، والاعتصام بحبل الله جميعًا ، وعدم التفرق ، والاخوة ..

٢ ـ الارشاد إلى منابع الالفة . وما يسببها : من بر ، وصلة ، وهدية ، وزيارة ، وتحية ..

٣ ـ توجيه الانسان إلى ما يبتر النظم . ويفسد التأليف : من غيبة ونميمة ، وحسد ، وسباب ، وعقوق .. ثم ينهى عن ذلك نهيًا لا هوادة

فيه ، كما يأمر بما يسبب الا لفة أمراً مؤكداً لا يرضى به بديلا .

والغر حين ينظر الآثار ـ كلا على حـــدة ـ تملكه الحيرة من التأكيدات الواردة فى البر والصلة ‥ والتهديدات الصادرة على العقوق والقطيعة ‥

لكنها حيرة غافل ، إن هذه الامور متشابكة مترابطه ، لا ينفصل بعضها عن بعض ، وعن جميعها تتكون البشرية الراقية ، وتخلف كل واحد سبب الدمار والهــلاك ‥

فهي أوصال المجتمع ، وأوردته وشرايينيه . فكما ان الانسان إن فسد منه شريان ، أو قرض منه وريد ، فسد مزاجه ، وقـد تكون عاقبة امره الهلاك !!

وكما ان « الجهاز الباعث للتيار الكهربائي ‥ » اذا تضعضــع منه وتد ، او انقطع منه خيط ، انطفت المصابيـح ، واظلمت المدينة .

كذلك مثل الا نسان ، ومثل كل فرد من افراده ‥

ونذكر بعض هذه الارشادات الاسلامية . فى وجازة وتأثير ‥

* * *

خلق الفرد

أول لبنة المجتمع الفرد ، فبالفرد صلاحه ، وبالفرد فساده .

والامة النشيطة ٠٠ هي التي تنشط افرادها . والامة الخاملة ٠٠ هي التي تخمل افرادها ، فنشاط المجتمع بدون نشاط الافراد تناقض ، وخمول الامة مع عدم خمول افرادها اضداد ، فهو كمرض الأعضاء مع صحة الجسم ، او صحة الاعضاء مع مرض الجسم ، كلاهما ممتنع ، لا يكون !!

إذاً : فلخلق الفرد المدخلية التامة فى خلق الاجتماع ، ولذا يبتدء كل مصلح فى إصلاح المجتمع ، بتصقيل الأفراد ، وتجلية جنايا النفس الملتاثة فى كل فرد فرد .

وهذا شأن الكون : فبالقطرات يجتمع البحر ، وبحبات الرمال تتكون الصحارى ، وبأفراد النجوم الزواهر ، تتكون السماء الوضاء ٠٠

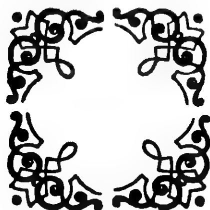
كما أن ذلك مبدء تكون الأحزاب والعساكر .. فانها فرد ، ثم فرد ، ثم فرد ... حتى يتكون حزب قوي ، او جيش عرمرم..

وللفرد شهوات وميول ، ونزوات ونزعات ، ولاصلاح له إلا باصلاحها ، واخذ الوسط : لا إفراط ولا تفريط ، ولا سرعة ولابطء ..

فكل من الكبت المطلق ، والحرية المطلقة ، خروج عن الاعتدال، وهوى في مهوى سحيق .

لا كبت ولا حرية ، بل عدالة ووسط .

والاسلام أول ما يعتني بالمجتمع ، يتوجه الى الفرد : يريه مواضع الزيغ والانحراف ، ويزين له العدل والنصفة ، ثم يدعمها بترغيب وترهيب، وثواب وعقاب ، حفظاً للفرد ثم المجتمع عن الانهيار والبوار ..



الكسل

من آفات الفرد الكسل ، إنه يهدم الشخصيه ، و يذوي زهرة العمر النضر ، و يؤدي بصاحبه إلى الهلاك ، والتأخر فى ميدان الحياة الفسيح !

والكسالة حلق متعاقبة ، تتبع بعضها بعضاً ، فمن كسل عن شيء ، لا ينفك حتى يكسل عن آخر .. وهكذا دواليك ، حتى يلتحق بالأموات وهو يمشي على ظهر الارض ، فهو حطام آدمي لا ينتفع ولا ينتفع به ، وحطام النبات أفضل منه ، إنه ينتفع به فى ايقاد النار ..

وعكس ذلك النشاط فهو حياة وحياة .. وعمل وعمل .. فالنشيط كالنبت في الارض الخصبة ، لا يزال ينمو : حتى يورق ، ويزهر ، ويثمر متعة للعين ، ولذة في الروح ، وفيض للحياة ، ودفء وضياء ..

وما الآثار التي نريها محيطة بنا ، من عمران ودور وجنات ، وانهار

ومدن ، ومصانع ومدارس ، وآلات وادوات .. إلا آثار النشاط .

قال الامام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ : « إياك وخصلتين ! الضجر والكسل، فانك إن ضجرت لم تصبر على حق ، وإن كسلت لم تؤد حقاً » .

إن الكسلان يعجز عن نفسه ، فكيف لا يعجز عن الحقوق ؟!

و هو عبء ثقيل ، يمر عليه الليل و كأنه سنة ، والنهار و كأنه عام .

وغريب جداً : ان يمر النهار على النشيط مرور الطائرة في نهر السماء الجاري ، حيث يزيد دفع النهر على دفع المحرك ، فيرى و كأن اعوامه ساعات ، يلتهم الوقت إلتهام القمر الفضاء ، ويعكس الأمر عند الكسلان! فيرى ساعاته اعواماً ، يلبث ويلبث .. حتى تمضي دقيقة !!!

وهكذا .. الساعة ، ثم ... اليوم ، ولا تحدث عن الاسبوع والشهر والعام !!

ان اقل وصف للعام عند الكسلان : « يومٌ كان مقداره خمسين ألف سنة ! » .

الكسلان لا يضيع نفسه فقط ، بل يضيع حقوق الآخرين ، قال امير المؤمنين ﴿ عليه السلام ﴾ : « اياكم والكسل ، فانه من كسل لم يؤد حق الله عز وجل » .

لا حق الله فحسب ! بل الحقوق اجمع ، قال امير المؤمنين ﴿ عليه السلام ﴾ :

« من اطاع التواني ضيع الحقوق ، ومن اطاع الواشي ضيع الصديق » .

وليست عاقبة الكسالة إلا الاثم ، فان الكسلان لا يؤدي الطاعة ، فانها تستهلك النشاط والكسلان لا نشاط له ، قال الامام الصادق (عليه السلام) : « قال لقمان لابنه : للكسلان ثلاث علامات : يتوانى حتى يفرط ، ويفرط حتى يضيع ، ويضيع حتى يأثم » .

والكسول ـ في الحقيقة ـ حمل ثقيل على المجتمع ، اذ هو يصرف حيوية الآخرين ، ولا يصدر حيوية ، ولا يلبث الا ويلفظه المجتمع لفظ الفم النواة ، فيهون عليهم ، وان ضربت عليه سرادقات الأموال و الانساب ، قال امير المؤمنين (عليه السلام) : « العجز مهانة ! » انه ليس مهانة فقط ، بل مرض عام يشمل جميع الجسد ، ولذا قال (عليه السلام) في حكمة اخرى له : « العجز آفة .. » .

وأية آفة : اعظم من آفة تترك حيوية العين والاذن واللسان .. والقلب والدماغ والفكر .. شللا ، لاتتحرك بخير ، ولا تدفع سوءاً ، انها آفة عجيبة !!!

وقد كان نبي الاسلام وعترته عليهم التحية والسلام ، من اروع الأمثلة للنشاط والحيوية : هدماً وبناءاً ، حياة وعملا ، جهاداً وعبادة !!

فهم خير أسوة حسنة لمن تبع ..

الطمع والحرص

من الآفات الفردية « الطمع ، والحرص !! » هما اخوان رضيعا لبان ضعة النفس .

النفس اذا خفت طلبت شيئاً لتثقل معه ، حتى ترجح الكفة ، فهي كالبضاعة اذا نقصت احتاجت الى ثقل معها، لتعدل الميزان ، او ترجح البضاعة !

والطماع والحريص يشعران بهذه الخفة في انفسهما ؛ فيطلبان ما يقع به التوازن .

والطامع فقير مهما كثر ماله ، فان الفقر فقر النفس ، لا فقر الجيب و اليد !!

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « افقر الناس ذو الطمع ! » .

وانه لحق !! ان الفقير مهما جاع او عرى لا يطلب الا ما يستر عورته ويشبع جوفه .. اياماً ، او اشهر ، او سنيناً .. وهي غاية طلبه ، اما ذو الطمع ـ وذو الطمع وحده ـ : هو الذي لا يرى امداً لطلبه ، فهو يطلب ويطلب .. ويحرص ويحرص ... حتى يكون مصداق قوله (ﷺ): « لو كان لابن آدم واديان من ذهب ، لطلب وادياً ثالثاً .. » .

ولو سئلت الطامع الذي جمع مالا ونشبا يكفيانه طيلة اعقاب سبع ـ لا هو وحده ـ : ما الذي تريد ؟ لم يكن له جواب : الا الفقر في النفس ، والخسة في الروح ، والنقص في القلب ..

ولو كشف باطن الطمع ، رؤي فيه كل ذل ومنقصة ! إنه يقود المرء الى كل شيء .

قال الامام الباقر (ع) : « بئس العبد عبد له طمع يقوده ، وبئس العبد عبد له رغبة تذله » انه بئس العبد في الحقيقة !

الطمع يقوده الى الذلة ، والحقارة . والحسد ، والحقد ، والعداوة، والغيبة ، والوقيعة ، وظهور الفضائح . والظلم ، والمداهنة ، والرياء ، والنفاق وعدم الرضا بالقسمه . والاتكال على الباطل ... !!

إنه طمع فليسهل في سبيل إشباعه كل رذيلة ..

وإلى هذا يشير الامام علي بن الحسين (ع) حيث قال : « رأيت

الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع عمـا في أيدي الناس ، لا يظلم لدرهم ، ولا يداهن لدار ، ولا يذل لمطمع ..

و بعد هذا : لا يحتاج إلى فكر وتخريج وجه الجواب الذي أجابه الامام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ لـ « أبان » ، قال « أبان بن سويد » قلت : ما الذي يثبت الايمان فى العبد ؟ قال : « الذي يثبته فيه « الورع » والذي يخرجه منه « الطمع » .

إنه لا إيمان لذي الطمع ! وأي إيمان له وهو يرتكب كل محظور لاشباع نهمة طمعه ؟!

إن الاسلام يريد أن يكون الفرد امثولة فى الغنى النفسي ، قبل الغنى المالي ، فلا يطمع حتى يسلك به الطمع مسالك الذلة والمهانه ، والسؤال .. حتى عن أكبر شخص ، حتى عن النبي ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ !

نعم : حتى عن النبي !!

قال الامام الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ : « قال رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ : من سئلنا أعطيناه ، ومن استغنى أغناه الله » .

وأية نسبة بين إغناء الله و إعطاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟! إنها نسبة الواحد إلى مائة ألف أو أبعد !!

فى قطع الطمع خير الدنيا بالعز والسعادة ، والاعتماد على النفس ، والرضا بالقسمة ... وخير الآخرة بالثواب الحسن ، وبالجزاء الجميل ..

قال الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ : « إن أردت أن تقر عينك ، وتنال خير الدنيا والآخرة ، فاقطع الطمع مما في أيدى الناس .. » .



* * *

حب الظهور

و لنفرض أنه اعتلا ، واشير إليه بالبنان : انه ملك .. إنه وزير .. إنه عليم .. فماذا بعد ذلك ؟

لو عمل وكد ، وجد واجتهد ، وحالفه القدر .. أتاه كل شيء قبلا ، أحب أم كره ، وما ينفعه الحب لو قعد به العمل والجد ، إلا اضطربا في الفكر ، وقلقاً فى النفس ، وسهراً وتعباً ..

إن حب الظهور نبت ينمو - غالباً - فى النفوس المريضة ، كما ينمو الزرع الخبيث فى الاراضي العفنة ، وكل من أحب الظهور يجره حبه الى هذا الى مفاسد ورذائل .

وكم رأينا فى أيام الانتخابات في الحكومات الفاسدة ، مرشحين يدئبون ليل نهار بكل وسيلة وضيعة لنيل كرسي الظهور - ولا اسميه

والدنيا وان كانت موزعة بين هؤلاء وغيرهم ، بل ربما كان للفريق الأول النصيب الأوفر ، الا أن الآخرة تخص الفريق الثاني فحسب ..

يقول الله تعالى فى القرآن الحكيم : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض .. ولا فساداً .. والعاقبة للمتقين ﴾ .

فكل من أراد علواً ، أو أراد فساداً ، لانصيب له من الآخرة !!

ان حب الظهور رأس سلسلة من الاجرامات ، ولو نظر الشخص الى كثير من رؤساء الحكومات العفنة ، لراى أن كل فساد يصدر منهم من: قتل الابرياء واعتقال الناس بغير حق ، وخيانة الشعب ، وابتزاز الاموال المحرمة ... من آثار حب الظهور ، واشتهاء كرسي الحكم والامارة !!

وليس عبثاً أن يبالغ الاسلام فى منع تطلب الرياسة ، وذم طلابها .

قال أبو الحسن (عليه السلام) : « ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعائها ، بأضر فى دين المسلم من طلب الرياسة ! » .

ان الذئبين يهلكان أغناماً معدودة ـ على أكثر الفروض ـ وطلاب الرياسة يهلكون اممآ بأكملها ، ويفسدون الزرع والضرع !!!

ان الأمر لايقف عند هذا الحد ، بل ذاك أعظم بكثير !.

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « ملعون من ترأس ، ملعون من هم

بها ، ملعون كل من حدث نفسه بها !! » .

ولكن ليس معنى ذلك ، أن يجتنب الأكفاء مقامهم ، ويخلوها للمفسدين ، إن هكذا فهم اعوجاج في فقـــه الدين ، وزيغ عن مقصد الأحاديث ، إن معنى ذلك أن يتطلبها من ليس لها بأهل ـ كما هو كذلك فى الكثرة الغالبة ممن يتبوء مبوء الرؤساء ـ .

أما أن يطلبها من يريد الاصلاح والارشاد ، دون رياء أو شهوة سمعة .. فانه طلب الحق لاقامة الحق ، وإليه أشار الحديث : « من طلب الرياسة لنفسه هلك ، إن الرياسة لا تصلح إلا لأهلها » .

« قال سفيان بن خالد : قال أبو عبد الله (عليه السلام) ـ يعني الصادق ـ : إياك والرياسة ! فما طلبها احد الا هلك . فقلت له : جعلت فداك ! قـــد هلكنا إذاً !! ليس احد منا إلا وهو يحب أن يذكر ويقصد ، ويؤخذ عنه؟! فقال : ليس حيث تذهب ، إنما ذلك : أن تنصب رجلا دون الحجة ، فتصدقه فى كل ما قال ، وتدعو الناس إلى قوله » .

والرجل دون الحجة : هو الذي لا يليق ، أما اللائق فهو الحجة الذي ينبغي أن يقتدي بأعماله .

وقد حكى الله تعالى قولة خيار عباده الصالحين الذين يقولون : « واجعلنا للمتقين إماماً » .

إكبار النفس

كل صغير يرى نفسه كبيراً ، وذلك دليل صغر النفس ، وضعة الروح !

فالنفس يصيبها ما يصيب العين ـ أحياناً ـ من قصر النظر ، فيرى القريب ؛ ولا يرى البعيد !

والانسان مجبول على تكبير نفسه ، وتزيين عمله ، مهما ضئل وقبح .

وكلما قويت هذه النزعة في النفس ؛ انحطت . وخف وزنها ، وضعف عملها ..

وكلما انعكس الامر ، فرأى نفسه صغيراً ، وعمله حقيراً ، ثقلت ، وابتعد همتها ، وقصى نظرها ؛ فهو ينشد الكمال دائباً ، ويطلب الرقي أبداً ، حتى يصل .

« ان من جد على الدرب وصل » .

ويقال : ان هذا الشعور هو سر تقدم المأوفين : كمن به عرج او عمى او .. لأنه يرى نفسه ناقصاً أمام الناس ، فيدئب لكن يثقل وزنه علماً وأدباً و . و . حتى يعلو نجمه ، ويرتفع قدره ..

وقد حارب الاسلام هذه النزعة أشد المحاربة ، حرصـاً منه على ترفيع المجتمع ، وترقية الأفراد ، وقد استغرب القرآن تزكية المرء نفسه ، قال تعـالى :

« ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم ؟! بل الله يزكي من يشاء !! »

ونهى المسلمين نهياً صريحاً عن تزكية انفسهم ، فقال ـ بعد ماعرض بضعفهم السابق الماعاً الى ضئآلتهم ، وتذكيراً لضعفهم ـ :

« هو أعلم بكم : اذ أنشائكم من الارض ، واذ أنتم أجنة في بطون امهاتكم . فلا تزكوا أنفسكم ! هو أعلم بمن اتقى ! » .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا تحقروا شيئاً من الشر وان صغر في أعينكم ، ولا تستكثروا الخير وان كثر في أعينكم .. » .

والحكمة في ذلك واضحة ، فان كل شيء صغر في عين الانسان أتى بما فوقه ، وكل شيء كبر في نفسه ، لم يأت بما فوقه ، فان استصغر الشر أتى بشيء آخر ، وان استكثر الخير لم يأت بخير أكبر ، وكلاهما مفسدة للدنيا والدين !!

وقد جمع الامام الصادق (عليه السلام) كل ذلك فى كلمة رائعة يحكيها عن الشيطان قال : « قال ابليس ـ لعنه الله ـ لجنوده : اذا استمكنت من ابن آدم فى ثلاث ، لم ابال ما عمل ، فانه غير مقبول منه ! : اذا استكثر عمله ونسى ذنبه ، ودخله العجب!! »

وليس العجب دائر فى فلك العبادة ـ كما يرتئيه كثير ـ فان العجب مذموم فى كل مجال :

مجـــال العبادة والابتهال ، مجـــال العلم والثقافة ، مجال الصنعة والاختراع ، مجال الزعامة والرئاسة ..

ولذا أطلق الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) كلمته الرائعة :

« العجب هلاك ، والصبر ملاك !! »

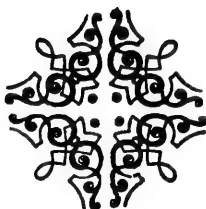
لكن ليعلم الفرق بين اكبار النفس والعمل ، وبين علو الهمة ، ان الثاني من الفضائل ويصحبه الاعتزاز بالنفس ، لا اعتزاز المعجب الخوار ، بل اعتزاز العامل العملاق ، بخلاف الاول فانه رذيلة مردية ، طال ماتودى بصاحبه ، وتسقطه عن الحيوية والنشاط .

يقول الامام السجاد (عليه السلام) في دعائه المسمى بـ« مكارم الأخلاق »:
« اللهم صلي على محمد وآل محمد ، وحلني بحلية الصالحين ، وألبسني زينة

المتقين ، فى بسط العدل ، وكظم الغيظ ..

واستقلال الخير وان كثر ، من قولي وفعلي ، واستكثار الشر وان قل ، من قولي وفعلي .. » .

انه طموح وعلو همة ، وتخلية للنفس عن شوائب زائفة ، وفرق بينه وبين الاكبار الطائش .





العلم

العلم فضيلة ، وان نبت الشخص فى بيداء خال عن الأنيس الى حين مماته ، والجهل رذيلة ، وان حفت بالجاهل هالة من شرف الآباء ، واثقال النشب ، ورفعة الجاه ..

الجاهل خفيف الميزان ، ثقيل المجلس ، مبتعد المنطق ..

والعالم قريب رحيب ، وقود مرتفع ، وان نزلت به الأنساب ، وتفرقت عنه الأسباب . وهو ذو قيمة ، وان لم يعرفه الجهال ، كما أن العسجد ثمين وان صار لعبة طفل ، او دربة مجنون ..

وما أروع كلمة الامام امير المؤمنين (عليه السلام) وأثمنها ـ فى وصف العلم ـ :

« قيمة كل امرء ما يحسن ! » وأعظم بها من كلمة !! لا تقدر بقدر

ولا تثمن بثمن ..

وليس عجباً ان لم يعرف القرآن العلم ، بل جعله موضع سؤال :

« هل يستوي الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون ؟ »

انه سؤال مغزاه أكبر من كل تعريف .. وصدق هذا : ان يوزن الشخص هذه الجملة القصيرة ، مع كل ما جاء فى العلم من فضل ومنقبة ، انه يجد هذه أثقل من تلك ..

ومن راجع شرائع السماء ، وانظمة الارض ، لا يجد عشر معشار ما يجده فى الاسلام من الحث على العلم ، وايجاب طلبه ، وتعداد الثواب العظيم لطالبه .

انه علم ، وكفى ، وضده جهل ، وكفى . لا يحتاج الى منطق ، ولا يريد سوق دليل .

وان علمنا : ان العلم بحر لا يحيد ، وادركنا : ان رؤوس العلوم ـ في عصرنا هذا ـ يبلغ مائة وثلاثين : التي واحد منها علوم العربية بأجمعها ..

عرفنا سبب قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : « العلم من المهد ، إلى اللحد » .

وإن هذا الوقت لقليل ، و قليل جداً ..!

والعلم بغية يلزم تحصيلهـــا ، ولو فى أقصى الارض ، وإن كان في مغارة جبل ، أو كهف ، فانه كال لا مثيل له ، ولذا يقول الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« اطلبوا العلم ، ولو بالصين » ! إذ كانت الصين آن ذاك أوآخر المعمورة ، وكان طي المسافة اليها من أصعب الأسفار ..

والعلم ليس آلة هدم وخراب ، وقتل وحرق .. كما يستخدمه بعض أفراد البشر ! إنه آلة ضياء وإنسانية ، وسراج وهـــاج يهتك ظلمات الآفاق ..

وما أجمل رائعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« طلب العلم فريضة ! » إن الفريضة ، يؤتى بها لله ، فهي من الله ، وإلى الله ، والله لا يأمر بالظلم :

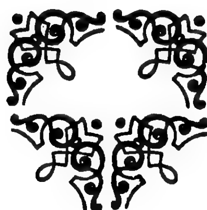
« ان الله يأمر بالعدل ، والاحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهي عن الفحشاء والمنكر ، والبغي » .

فالعلم الذي يطلب ـ في نظر نبي الاسلام ـ هو العلم الذي يخـــدم البشر ، لا الذي يدمر البشر ..!!

وكلما اتسعت دائرة العلم ، تقلصت آفاق الجهل ، كما انه كلما اتسع الضياء انكمش الظلام ، اجل : كان انكشاف سعة الجهل بسعه دائرة العلم ، فلو فرضنا ان الانسان يحيط به علمه كان كلما زاد المحيط سعة ، أزداد دركه لما وراء المحيط توسعة ..

والى هذا يشير بعض العلماء ، حيث يقول :

« كلما ازددت علماً ، ازددت جهلا »



بين افراد العائلة

وبعد ما يضع الاسلام اللبنة الاولى في بناء المجتمع وهو الفرد ، ويحكم صنعه ، يتوجه الى ادب الجماعة ، فيبين لها حدودها ، ويرشدها الى خيرها وشرها ، ورقيها وانحطاطها ، اذ الجماعة ـ العائلة ـ هي في الدرجة الثانية من الامة ، وبصلاح العوائل تصلح وبفسادها تفسد .

فتنقية العائلة ، وتوجيهها الى الرشاد ، تقع في منتصف الطريق ، بين صلاح الفرد والمجتمع : الفرد ، ثم العائلة ، ثم المجتمع .

ولما كان للعائلة ادب خاص ، وميزات مخصوصة .. ارصد لها الاسلام شطراً مهما من التخطيط والتحديد ، وعين لها اوامر ووظائف ..

من اب يعطف ، واولاد يبرون ، وام تحن ، واخوة يتواصلون ، وزوج يحسن ، وزوجة تطيع ..

والعائلة ـ او بعبارة اجود : المجتمع الصغير ـ وان كانت قدتتألف

من غرباء ، لا يربطهم وشيجة رحم ، ولا يجمعهم قربى ، الا ان مثل هذا لايكون مورد تعديل وتعريف اكثر مما يكون المجتمع الكبير . فعدم اعتناء الاسلام بمثله الأ بنحو العموم ، لا مأخذ عليه .

وحيث ان العائلة ـ فى كثير من الاحيان ـ تكون مهب عواطف الشقاق ، وموضع نزوات الميول الزائفة ، كان تأكيد الاسلام فى حقها اكثر من تأكيدها بالنسبة إلى الامة .

والعائلة وان كانت تتكون بادىء ذي بدء منالزوجين والاولاد الا ان الأرحام الذين اجتمعوا فى رحم عليا ، ايضاً ، مورد تحديد الاسلام وتخطيطه ، بحدود يخصها دون المجتمع ، فهناك صلة رحم يتأكد فى حقها ، ولها من الحقوق اكثر من غيرها ..



* * *

الوالد والولد

يحتل الوالدان الصف الاول فى القربى ، كما يحتملان في الأغلب : النصيب الأوفر من التعب ، وللام نصيبها المفروض من الحمل والرضاع والمشقة والسهر .. كما ان للاب حصته المعينة من الكد والمكسب .. للرزق والترفيه ..

فالولد موزع النصب بين اب رحيم ، وام حنون ، وان اختص كل بشطر يغاير شطر أليفه .

والأبوان هما السبب الأول في وجود الأولاد ـ حسب ما جرت الحكمة العليا ، فى أن يجعل لكل شيء سبباً ـ .

إذاً : فلا غرابة فى أن يختصا بعطف زائد ، فاطاعة معروفة .. من الأولاد ، إذا بلغوا أشدهم واستووا .

إنها واجبات على الأولاد تتكافىء حقوقاً عليهم ، كما أن تنشئتهم من الأبوين حقوق لهما تكافىء بواجبات عليهم ، لا إفراط ولا تفريط : تعب، و نصب، ورزق، و كسوة ‥ تقابل: بطاعة، وإحسان، و لين، وعطف

و قد شاء الله تعالى ـ حسب عدله المنظم ـ أن يكون نشيء الأولاد و تكونهم إندفاعاً من الأبوين ، ورغبة والحاحاً ، فالمباشرة غريزة لا تزم ، والحمل طبع لا يتخلف إلا بعوائق ، والحب والعطف ‥ سجايا منطبعة ... وذلك بخلاف توجه الأولاد نحو الأبوين ، إنهم بعد لأي يغنون عنهما ، ويرتئون آراءاً خاصة : كثيراً ماتكون غريبة بالنسبة إلى آراء الأبوين ‥

لذا : كان تأكيد الاسلام فى البر والصلة منصبّاً على الأولاد ، وعلى الأولاد فقط ‥ فانهم هم ـ وحدهم ـ يتبرمون بالمنعم عليهم ‥

أما الآباء فتوصيتهم بالنسبة إلى الأولاد تقع عفواً ، أو في هامش الشريعة .

وغاية مايراد منهم : تربية حسنة ، وتسمية ـ قبل التربية ـ جيدة ، وتزويج كريم ‥ فقط !!

ومن الظريف : أن كل هذا يرجع إلى منفعة الأولاد :

إسم كريم ، وأدب رفيع ، وزوج مباركة ‥ !

لمن هذه ؟ !

للأولاد ، وللأولاد فقط ..

وقد جعل القرآن نصيب الوالدين من البر والأحسان ، بعدتعظيم الله وطاعته ، إشارة إلى عظم هذا التكليف ..

﴿وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل : ألا تعبدوا إلا الله وبالوالدين احسانا﴾ .

ليس هذا لاسرائيل فحسب ،بل هو لأمة عيسى ﴿ﷺ﴾ أيضاً ، محكى قوله ﴿ﷺ﴾ :

﴿ وبراً بوالدتي ، ولم يجعلني جباراً شقياً ﴾ .

ولامة محمد ﴿ﷺ﴾

﴿ قل : تعالوا ، أتل ما حرم ربكم عليكم : أن لا تشركوا به شيئاً، وبالوالدين احسانا .. ﴾

وللناس اجمعين :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسناً ﴾ .

« ووصينا الانسان بوالديه ، حملته امه وهناً على وهن ، وفصاله فى عامين : أن اشكر لي ولوالديك ، الي المصير . . » .

وهذه الآية جمعت بين جانبي الاستعطاف والتهديد ، بأبلغ بيان ترقيقاً للمشاعر ، وتخويفاً للمتكاسلين :

أليست الام هي الحاملة في وهن كثير، التاعبة لهذا الحمل الثقيل؟.
وأليست هي ـ بعد الحمل ـ لا نجاة لها؟ انه دور الرضـــاعة البالغ عامين!
انه مدة طويلة ..!
ثم أليس المصير الى الله الذي يجازى المحسن بالاحسان، والمسيء ـ بالأخص الى والديه ـ بالاساءة؟؟
اذاً، فالشكر واجب، و لمن لم يفعله سوء المصير ..
ثم تسير الآية شوطاً أبعد، وأبعد بكثير ...
ان الاسلام لا يحترم المشرك، انه اعظم الناس جرماً، يشرك بمن خلق ورزق و. و. فلا يستحق تقديراً ابداً ..
لكنه ـ كيف الصنيع؟ والمشرك والد ..!
إذاً: يلزم الأحسان اليه، لأن الله مقدر الرحمة، وعدل أي عدل؟! لا يضيع عمل عامل حتى اذا كان مشركا ..!
{.. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علـــم، فلا تطعهما!
وصاحبهما فى الدنيا معروفاً ..!}.
والام أولى بالبر والرحمة من الأب، إنها تحمل وترضع وتسهر...

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال : يا رسول الله ، من أبر ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : امك . قال : ثم من ؟ قال : أباك » .

فبر الأم ثلاث أضعاف بر الأب .

والبار مورد تقدير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر من غيره ، وكلما ازداد الولد براً ، كان تقدير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعظيمه له أكثر .

قال عمار بن حيان : خبرت أبي عبد الله (عليه السلام) ببر اسماعيل أبني بي فقال : « لقد كنت احبه ، وقد ازددت له حباً . إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أتته اخت له من الرضاعة ، فلما نظر اليها سر بها ، وبسط ملحفته لها ، فاجلسها عليها ، ثم أقبل يحدثها ، ويضحك في وجهها ، ثم قامت فذهبت . وجاء أخوها ، فلم يصنع به ماصنع بها . فقيل له : يارسول الله ، صنعت باخته ما لم تصنع به ـ وهو رجل ـ ؟ فقال : لأنها كانت أبر بوالديها منه ! »

وان من كبر حق الوالدين . في نظر الاسلام ، ما يقدم البر على الجهاد : الجهاد الذي هو ركن من أركان الدين ، ودعامة يبتنى عليها الأسلام !!

قال الامام الصادق (عليه السلام) « أتى رجل رسول الله ، فقال : يارسول الله ، اني راغب في الجهاد نشيط . فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فجاهد في

سبيل الله ، فانك ان تقتل تكن حياً عند الله ترزق ! وان تمت فقد وقع أجرك على الله ، وان رجعت ، رجعت من الذنوب كما ولدت ، قال : يا رسول الله . ان لي والدين كبيرين ، يزعمان أنهما يأنسان بي ، ويكرهان خروجي . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : فقر مع والديك ! فوالذي صنعني بيده : لانسهما بك يوماً وليلة خير من جهاد سنة !!! » .

وليس البر مقصوراً على شيء خاص ، بل يشمل حتى النظر والكلام .. وما اليهما ، بل وأبعد من ذلك مما يثير الدهشة :

قال الامام الصادق (عليه السلام) - في تفسير قوله تعالى : « أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما اف ! ولا تنهرهما ...

: « ان أضجراك ، فلا تقل لهما اف ! ولا تنهرهما ان ضرباك ! قال (وقل لهما : قولاً كريماً) : ان ضرباك ، فقل لهما : غفر الله لكما ! فذلك منك قول كريم . قال (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) : لا تملأ عينيك من النظر اليهما ! الا برحمة ورقة ، ولاترفع صوتك فوق أصواتهما! ولا يدك فوق ايديهما ! ولا تقدم قدامهما .. ! »

انه حقاً دين يأمر بالعدل والاحسان ، انه حقاً دين الاسلام والسلام .

انه عطف يشمل الجماد والنبات ، أفلا يشمل الانسان ؟؟ خصوصاً الوالدان عرفا الحق ام لم يعرفا ! ان عرفان الحق يفيد الانسان في الآخرة ، ويصلح

شؤونه في الدنيا ـ بالنسبة الى الشخص نفسه ـ اما الأولاد فيجب عليهم البر ـ انهما ابوان ، وكفى ..!

قال معمر بن خلاد : قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام) : ادعو لوالدي اذا كانا لا يعرفان الحق ؟ قال : « ادع لهما ! وتصدق عنهما ، وان كانا حيين فدارهما ، فان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ان الله بعثني بالرحمة ، لا بالعقوق ! » .

قال مصعب : قال أبو جعفر (عليه السلام) : « ثلاث لم يجعل الله عز وجل لاحد فيهن رخصة : اداء الامانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد للبر والفاجر ، وبر الوالدين برين كانا او فاجرين » .

انه بعد ذلك ليس مبالغة ان يكون البر من الاسباب الظاهرة لدخول الجنة ، والعقوق من العلل البارزة للاقتحام في النار .

قال أبو الحسن (عليه السلام) : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : كن باراً واقتصر على الجنة ، وان كنت عاقاً فاقتصر على النار ! » .

لا يدخل الجنة : انه طبيعي ، واكثر .. إنه لا يجد ريح الجنة ..

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « إذا كان القيامة ، كشف غطاء من أغطية الجنة ، فوجد ريحها من كانت له روح ، من مسيرة خمسمائة عام ، إلا صنفاً واحداً ! قلت : من هم ؟ قال : العاق لوالديه » .

وللعقوق مراتب أكبرها القتل .. وأصغرها نظر المقت .. وقولة اف ..

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ! فوق كل ذي بر بر ، حتى يقتل الرجل فى سبيل الله ، فاذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر ، وإن فوق كل عقوق عقوقاً ، حتى يقتل الرجل أحد والديه ، فاذا فعل ذلك ، فليس فوقه عقوق » .

وقال (عليه السلام) - في حديث آخر - : « من نظر إلى أبويه نظر ماقت - وهما ظالمان له - لم يقبل الله له صلاة » وقال (عليه السلام) : « لو علم الله شيئاً أدنى من اف ، لنهى عنه ، وهو أدنى العقوق .. » .

وهـذا الحديث يستحق تأملا كبيراً ، وبالأخص : « وهما ظالمان له » ... !

والبر لايخص الحياة ، بل هو كذلك بعد الموت . تحفظاً على أواصر الصلة حتى بين الأحياء والأموات ، فان الروح باقية ، ويتطلع الميت على أقربائه ، وبالأخص الأولاد ..

قال أبو جعفر (عليه السلام) : « إن العبد ليكون باراً بوالديه فى حياتهما ، ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ، ولا يستغفر لهما ، فيكتبه الله

عز وجل عاقًا ، وإنه ليكون عاقًا لهما فى حياتهما غير بار بهما ، فاذا ماتا ، قضى دينهما واستغفر لهما ، فيكتبه الله عز وجل باراً »

والكتاب والسنة في صدد البر ومدحه ، والعقوق وذمه ، دائبان !

إنه حجر الزاوية في المجتمع ، فليكن له من التأكيد والاصرار حد كبير !!



* * *

الزواج

تنتظم الامة أول انتظامها من زوج وزوج ، كل واحد منهما شق ، وكل واحد منهما مصراع ، فاذا اجتمعـــا توافق الشقان ، وكمل المصراعان !

وبالتفاف أحدهما بالآخر صد للنوازل ، ودفـــع للفحات الحياة السامة ..

وعجيب أمر الاسلام ! وحقيقة عجيب !!

إنه حد لهذا الأمر حدوداً ، وخط له خطوطاً فى غاية الدقة ، من البـدو إلى الختم .. في كل خطوة ، وكل حالة ، ولم يغفل عن صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها ، وأرشد الى الخير ، وهدى إلى السعادة ، ووجه نحو عيش أفضل ، ومثل عليـــا ، إستتباباً بالنظام العائلة ، وتهذيباً لنفوس الأولاد ، وترقية لمستقبل الاجيال ..!

الاسلام يريد الهدوء ، ودفء الحيـاة ، وضيـاء الحب ، وبلهنية العيش ..

بالنسبة الى الزوجين .

ويريد سلامة الأولاد عن الأمراض والعاهات ، وطهارة أنفسهم. ورقة عواطفهم ، وحسن أدبهم ، ونشاط روحهم ..

ويريد رقي المحيط ، وسلامة المجتمع عن الفقر والمرض والجهل ، وحفظه عن الفساد والالتواء والزيغ ..

ان كل ذلك بالزواج ـ أولا ـ وبانتقاء كل من الزوجين ـ ثانيًا ـ المرض الزهري .. والفساد والالتواء الخلقي .. تنشأ ـ غالبًا ـ من العزوبة ..

والعيش الرغيد والحب والدفء .. وسلامة الأولاد وطهارتهم .. تنشأ ـ في الحالات الكثيرة ـ من جراء عدم الانتقاء الحسن والكفاءة في الزوجين ..

بقي الجهل والفقر ، والزواج الحسن كفيل بدحضهما ..

الزوجان يتعاونان في الحياة ..

والتعاون أساس الغني والعلم ، ومن ذلك يعرف معنى قوله تعالى :

« وانكحوا الأيامى منكم ، والصالحين من عبادكم وامائكم .. ان

يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله ... ! »

ومن الحق : أن اقول : إني كلما أنظر إلى الآثار الواردة فى النكاح ، وأبوابه الكثيرة .. تملكني الدهشة : كيف أرشد الاسلام إلى جميع ما فيه الصلاح فهذه الناحية المهمة من الحياة ، وحذر عن مواضع العطب والهلاك ، والفساد والخبال ؟! ثم الاسلام بواد .. والمسلمون بواد..

ولسنا الآن بصدد هذا البحث ، فله موضع خاص ، وكتاب منفرد إنما المهم بيان نظر الاسلام إلى كيفية التعايش الهنيء بين الزوجين، فى جو من الأخلاق الفاضلة ، والسماح الكريم ..

فللمرأة احترامها البالغ ، وللرجل احترامه المؤكد ، وكل منهما لاصق بالآخر لصوق اللباس بالبدن « هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن » كما يقول القرآن الحكيم .

فكل منهما بالنسبة إلى الآخر كاللباس بالنسبة إلى الجسد يقي الحر والبرد ، ويحفظ السوءة ، ويتمتع به ، ويلتذ بملمسه ، ويرى - استعادة - من البدن ما لا يراه غيره .. وكما يحفظ الانسان باللباس ، فيلزم عليه حفظ لباسه تحفظاً على نفسه ، كذلك الزوج ..

وقد استنكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قسوة الجاهلية ، حيث كانوا يضربون المرأة ! لعبه

قال الباقر (عليه السلام) : « أيضرب أحدكم المرأة ، ثم يظل معانقها؟! » إن العناق اية الحب ، و الضرب دليل نضوب معينه فكيف يجتمعان ؟

إن اللازم على الرجل أن يجعل زوجه بمنزلة الحبيب ، وأكثر .. بمنزلة اللعبة ، حتى يستأنس بها وتستأنس به ، فبالحشمة تسقط المودة ، وينقلب الحب الطاهر شهوة حيوانية فحسب .

قال الصادق (عليه السلام) : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إنما المرأة لعبة ، من اتخذها فلا يضيعها » .

ما أرقها من عبارة ، وأحسنها من تشبيه ؟ يفيض منها الحنان والعطف ..

والمرأة في نظر أمير المؤمنين (عليه السلام) : الامام العملاق المجاهد الزاهد .. ريحانة : للشم والعصر واللذة والحب ، فلا تفرك ، والا ذرت ، ولا تترك تصيبها لفحة ، فتذبل .

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « في رسالة أمير المؤمنين إلى الحسن عليه السلام ـ أو إلى ابنه محمد بن الحنفية ، على الاختلاف ـ : لا تملك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها ، فان ذلك أنعم لحالها ، وأرخى لبالها ، وأدوم لجمالها ، فان المرأة ريحانة ، و ليست بقهرمانة ... فدارها

على كل حال ، وأحسن الصحبة لها ليصفوا عيشك »

وقد استعطف الاسلام الرجال نحو النساء ، في قوالب عاطفية ، وعبارات رقيقة . استجلاباً للرحمة ، واستمطاراً للود والالفة ..

قال رسول الله ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ : « خيركم خيركم لأهله ، وانا خيركم لأهلي » .

وقال ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ : « عيال الرجل اسرائه ، واحب العباد إلى الله عز وجل احسنهم صنعاً الى اسرائه »

وقال الصادق ﴿ عليه السلام ﴾ : « اتقوا الله في الضعيفين ! يعني بذلك اليتيم والنساء »

وقال (عليه السلام) : « اكثر أهل الجنة من المستضعفين : النساء ، علم الله ضعفهن فرحمهن » .

انه ليس هذا فحسب ، بل حب الزوجة من علائم الايمان ، وأخلاق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة ، والأنبياء عامة ، وشارة ولاء الأئمة الأطهار . . .

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما أحب من دنياكم الا النساء والطيب » .

وقال (عليه السلام) : « قال رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » جعل قرة عيني فى الصلاة ،

ولذّتي في النساء ! »

وقال « ﷺ » : « من أخلاق الأنبياء حب النساء ! »

وقال « ﷺ » : « كل من اشتد لنا حباً اشتد للنساء حباً ! » .

وقال « ﷺ » : « ما أظن رجلا يزداد فى هـــذا الأمر خيراً ، إلا ازداد حباً للنساء ! »

وقال « ﷺ » : « كلمـــا ازداد العبد للنساء حباً ، ازداد في الايمان فضلا ! » .

إنه الاسلام الذي يريد ديناً ودنيا ، وروحاً وبدناً ، وعلماً وعملا ، وآخرة واولى .. إنه الاسلام الذي لا يغفل عن جانب ليزيد في جانب ، ولا يترك مطالب الجسد ، لمطالب الروح ، او بالعكس !!

إنه الاسلام الذي لا يرى للدنيا طريقاً والدين طريقاً مضاداً ، حب النساء دين ودنيا ، وحسن العشرة دين ودنياً ، والصلاة والزكاة والحج .. دين ودنيا . لا رهبانية ، ولا مادية !!!

إنه الاسلام الذي يؤكد حب النساء ، كي لا تفتح المواخير ، وتذهب الأعراض ، وتسري الأمراض ، وتذبل زهرة الفتيان والفتيات بالطرق الملتوية . ويسوء عيش العائلة ، ويكدر صفائها شقاق ..

فلا غرابة إذاً من هذا التأكيد العجيب ، لكنه عجيب ـ فى نظر

الاحول ـ لا صحيح العين .

ان غير هذا عجيب !!

وإنه ليس حب مجرد ، بل حب يظهر أثره حتى ان المندوب التصريح بذلك للزوجة !

قال رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » ـ فيما يرويه الامام الصادق « عليه السلام »:

« قول الرجل للمرأة : إني احبك ، لا يذهب من قلبها ابداً »

* * *

ومن طبيعة الاسلام المرنة : ان تتكافى الحقوق ، وتقسم الواجبات، فللرجل على المرأة ما للمرأة على الرجل ، يقول الله تعالى :

« ولهن مثل الذي عليهن » .

قال موسى بن جعفر (عليهما السلام) : « جهاد المرأة حسن التبعل ».

وقال أبو جعفر « ع » : « قال رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » للنساء : لا تطولن صلوتكن لتمنعن ازواجكن » وفى معناه ما عن الصادق ـ ع ـ « نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النساء ان يتبتلن ويعطلن انفسهن من الازواج»

وقال ـ ع ـ : « أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط ـ فى حق ـ لم يتقبل منها صلاة ، حتى يرضى عنها ..»

وقد حدد الاسلام موقف كل من الزوجين تجاه الآخر ، وأن

الأذية سواء صدرت عن الزوج أو الزوجة كانت لها من العقاب شدة وقسوة ، تصفية للجو ، وإخلاءاً للبيت عن الأذى وتبعيداً للعائلة عن التبتر والانفصال ..

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : « من كانت له امرأة تؤذيه ، لم يقبل الله صلاتها ، ولا حسنة من عملها ، حتى تعتبه وترضيه ، وإن صامت الدهر وقامت ، وأعتقت الرقاب ، وأنفقت الأموال في سبيل الله ، وكانت أول من ترد النار . ثم قال ﴿ﷺ﴾ وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً .. »

إن الصلاة والصيام ، والاعتقاق والانفاق ، والحسنات .. لا تقبل ، والعائلة متبترة ، والجو كدر ، والحب العائلي منهار . إن الصلاة المقبولة هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والعائلة المباركة هي التي تقيم الصلاة .. وكذا أحكام الاسلام : إنها وحدة متماسكة ، يرتبط بعضها ببعض ، كالجسد الواحد لا كمال للاسلام إلا بها أجمع ، كما أن كل واحد منها لا يقوم مقام غيره ، ولا يغني عن سواه .

﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ وهذا حد القبول بنظر القرآن ..!

* * *

الأرحام

﴿ واولو الأرحام بعضهم اولى ببعض ـ فى كتاب الله ـ ﴾

أولى بالاحسان ، والمغفرة ، والصلة ، والارث .. أولى بكل شيء .

إنهم جمعهم رحم واحدة ، ولهم حنين خاص نحو الآخر ، لا يزول ـ وإن قامت العداوات ، واشتجرت المخاصمات ـ

من أقرب منهم ، حتى يخص بالرحمة دونهم ؟

جد وجدة ، وعم وعمة ، وخال وخالة ، ومن انتسب إليهم بولادة أو قرابة .. إنهم أقرب الناس ، والأقرب يمنع الأبعد .

وهم فى الدرجة الثالثة من التوقير والاحترام ، والاكرام والاحسان في نظر الاسلام .

يقول القرآن الكريم :

﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل : ألا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانًا ، وذي القربى ﴾ .

والأرحام هي القطعة الكبيرة من الامة ، المشتملة على قطع صغيرة فلو صلحت الأرحام ، استقامت أمر الامة ، ودقت أغصانها ، وأتت ثمرتها : وهو التماسك والاتحاد ، شهية : فرد ، فعائلة ، فأرحام ، فامـــة .. !

والاسلام كما هو شأنه ـ في كل شيء ـ يتدرج في إصلاح المجتمع ، فيهذب الفرد ، ثم يصرف النظر إلى العائلة ، فيقوي عراهـــا ، ويشذب زوائدها ، ثم يتوجـــه الى الأرحام ، فيحكم الصلات بينهم ، ويندب تماسكهم ، ويندد بمن قطع الود منهم ..

حتى يصل الدور الى المجتمع ، وقد تكاملت أعضاءه ، واستتبت أجزائه ، وانتظمت أفراده وعوائله ، فيقرب طريق صلاحـــه ، ويسهل تقوية روابطه ..

ويجعل الاسلام من الثواب لصلة الرحم ، قدراً يظن الغر انه محاباة ومبالغة ، ولكنه الحقيقة ، والحقيقة وحدها ، ان ملك الله فسيح ، وثوابه لا يعد ، وخزائنه لاتنفد ، فما ظنك بمن يخلق الاكوان الطويلة العريضة .. بكلمة واحدة : (كن) فـ (يكون) . ؟

والشخص فى الاخرى محتاج الى كل مزيد ، ولو قيل : ان الرجل الواحد يحتاج فى الآخرة الى أمثال الأرض عشرات المرات ، لم تستعبد!!

أليس ملوك الارض ، لا يزالون يطلبون المزيد ، وان طوى ملكهم على القارات كلها .. حتى يطلبون أراضي القمر ، وسباسب مريخ .؟ وأليس الشخص يصبح فى الآخرة ملكا ـ كما في الحديث ـ ؟ فلا استبعاد فى ذلك ؟

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (فيما روي عنه) : « من رعى حق قرابات أبويه أعطى فى الجنة ألف ألف درجة ، بعد ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر ، مائة سنة .. »

وصلة الرحم لا يثاب عليها في الدار الآخرة فقط ، بل فى الدنيا ـ أيضاً ـ

روى الصادق (عليه السلام) ، عن آبائه (عليهم السلام) ، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « ان المعروف يمنع مصارع السوء ، وان الصدقة تطفي غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر ، وتنفي الفقر .. »

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ لنوف البكالي ـ : « يا نوف : صل رحمك ! يزيد الله في عمرك » .

ان الرزق والعمر بيد الله يزيد لمن يشاء ، وينقص عمن يشاء ،

وقد ضرب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لنقص العمر وزيادته مثالا جلياً ، حتى لا يحمل كلامه على تأويل او مجاز !

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ان المرء ليصل رحمه ، وما بقي من عمره الا ثلاث سنين ، فيمدها الله الى ثلاث وثلاثين سنة . وان المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة ، فيقصرها الله الى ثلاث سنين » .

وصلة الرحم عطف من ناحيتين : ناحية إنسانية ، وناحية رحمية ، ففيها ملاك أجرين .

ولذا ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال :

« الصدقة بعشرة ، والقرض بثماني عشرة ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربع وعشرين » .

إنه تدرج جدير بالتأمل : إن الصدقه ترفع مستوى الفقير ، لكن عدمها لا يورث ضغناً ولا احناً ، فلها ثوابها المعتاد « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » حسب ما يقرر القرآن الحكيم .

والقرض لما كان عن احتياج مقترن ـ بماء وجه المقترض ـ يكون فيه ثواب قضاء الحاجة ، وثواب حفظ نضارة وجه المحتاج ، فهو إذاً : أعظم من الصدقة أجراً .

والاخوان المتحابون ، قلما لا يقع بينهم هنات ، وأفضل رافع لها

الصلة ، ففيها قطع جذور الضغائن والصغائر التي لو بقيت كبرت ، وسبب الهجران . وأخيراً : انهيار بعض المجتمع . فلا غرو ان يكون ثوابها أكثر حتى من القرض ، فانه مثار المحرم ، بخلاف ترك القرض .

أما صلة الرحم . فهي مما لا يشك يحصد الشر الذي يرفرف دائماً على الأقرباء ، ثم لا يزال حتى تقع الفتن الهائلة ـ كما هو المشاهد كثيراً ـ حتى قيل : (الأقارب كالعقارب) فالصلة بر وإبقاء لجمع الكلمة ، وتشذيب لحشائش الشر الطفيليات ، فهو أثوب وأثوب !!!

ولذا يقنع الاسلام بأقل الصلة التي تبقي الود ، وتحصد الشر !

يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « صلوا ارحامكم فى الدنيا ولو بسلام » ان السلام رسول الخير ، وتباشير الود ، وقالع جذور الحقد والحسد !!

وقال ابو عبد الله (عليه السلام) : « صل رحمك ، ولو بشربة من ماء ، وافضل ما يوصل به الرحم : كف الأذى عنها ، وصلة الرحم منسأة فى الأجل ، محببة في الأهل » .

والاسلام لا يخص بالعطف والصلة الرحم الشفيق ، بل افضل منها صلة رحم عدو ، كما هو شأن دساتير الاسلام الذي يرفع عن المجتمع كل حنق وحقد .. !

« عن سالمة مولاة ابي عبد الله (عليه السلام) : قال : كنت عند ابي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام حين حضرته الوفاة ، وأغمى عليه ، فلما افاق قال : اعطوا الحسن بن علي بن علي بن الحسين - وهو الافطس - سبعين ديناراً ، واعط فلاناً كذا ، وفلاناً كذا ، فقلت : اتعطي رجلا حمل عليك بالشفرة يريد ان يقتلك ؟ قال (عليه السلام) : تريدين ان لا اكون من الذين قال الله عز وجل :

« والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ، ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب » .

نعم : يا سالمة ، ان الله خلق الجنة فطيبها ، وطيب ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة الفي عام ، فلا يجد ريحها عاق ، ولا قاطع رحم »

ولا عجب : فان الاسلام يأمر بالعفو عن غير ذي الرحم : « خذ العفو ، وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » « وان تعفوا اقرب للتقوى » فكيف بذي الرحم ؟؟

إنها طبيعة الاسلام السمحة التي لا تريد الا السـلام والوئام ، والحب والوداد ..

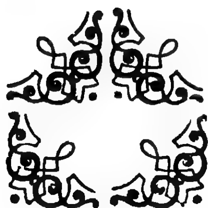
والرحم فى عرف نبي السـماحة (صلى الله عليه وآله وسلم) غير الرحم في عرف سائر الناس .

انها رحم وان التقت في اربعين ابا ..

قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ : « لما اسري بي إلى السماء ، رأيت رحماً متعلقة بالعرش تشكوا رحماً الى ربها ، فقلت لها : كم بينك وبينها ؟ فقال : نلتقي فى اربعين اباً »

وقطع الرحم ، من الاعمال التي يعجل وبالهن ، في الدنيا قبل الآخرة ..

قال امير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ : « ثلاث خصال لا يموت صاحبهن، حتى وبالهن : البغي ، وقطيعة الرحم ، واليمين الكاذبة ، وان أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم .. »



الإنسانية العامة

الانسان - كما يقال - اشتق من الانس ، فكل فرد يأنس بالآخرين ، وان اختلفوا فى النوازع ، وتباينوا فى الأفكار ، وتشاجروا ، بل وحاربوا ..

وليس لقطر ان يسخر من قطر ، او يهمزه ويلمزه ، والا سخر بلد من بلد ، وحي من حي ، ودار من دار ، و - بالآخرة - فرد من فرد ..

وبذلك ينفصم الاجتماع ، ويفسد الجو ، ويكثر ضياع الدم والمال ..

اذاً : فالعلاج ، - العلاج الوحيد - : ان يترك الانسان دواعي التبتر والانتثار ..

والاسلام يحيط المجتمع بسياج من الأخلاق ، حفظاً له عن عبث العابثين ، وافساد المفسدين ، وليبقى للامة وحدتها ، و ودها ، والفها ،

فيجتاز الانسان عقبات الطبيعة ، ويبني صرحاً مجيداً ، وحضارة إنسانية شاملة ، يعيش فى ظلها رغداً كريماً ..

ولم التفرق ؟ ولأي علة التباغض والتشاحن ؟

أليس الجميع من أب واحد ، وام واحدة ؟ وأخيراً : كلهم أقرباء وأبناء عم !

﴿ إنا خلقناكم من ذكر وانثى .. ﴾ آدم وحواء عليهما السلام ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل﴾ تأكيداً على أواصر القرابة ، ووشائج النسب ..

كل ذلك ﴿ .. لتعارفوا .! ﴾ لا لتناكروا وتباغضوا ..

هذا هو النشاء ..

والختام واحد : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ وقد جعل الاسلام للحياة الفضلى الجاهيرية حدوداً ، وأعلاماً ، إن اتبعها المجتمع افلحوا ، ونحن نعرض ـ الآن ـ شطراً من ذلك ..



حسن الخلق

محمد ...

ألفضائل والرذائل تتقسم على الأعضاء : فللسان الصدق والكذب، وللعين الطهارة والخيانة ، ولليدين العمل والبطش .. وللقلب الطيب والخبث..

وهناك فضيلة ـ يدعى : « حسن الخلق » يعم جميع المشاعر ، ويقابله سوء الخلق ، وهو أيضاً عام ، ولا يخص حاسة أو عضواً .. يسري فى جميع جهاز البدن ، سريان الروح في الجسد الحي ..

وغالباً : يسعد الانسان بهذه الفضيلة أكثر مما سواها . فالصدق والأمانة والحياء وحسن النية .. وما إليها ، لا تجلب صديقاً ، ولا تنقص عدواً ، أما الخلق الحسن فهو وحده كفيل بجلب أكبر عدد ممكن من الأصدقاء !!

وقد امتن الله على نبيه بهذه الموهبة الأخاذة ، حيث يقول :

« فبما رحمة من الله لنت لهم .. » إنها حقيقة رحمة ، رحمة لهم ، وله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أما لهم فقد أنجاهم من العذاب الذي كان يحرق دنياهم ، ويفسد آخرتهم ، وأما له فقد حصل له من الأتباع ، وحسن الذكر ، ومثوبة الهداية ، مالم يكن يحصل له لولاه « .. ولو كنت فظاً غليظ القلب ، لا نفضوا من حولك » .

ولا تمر شيء ، إلا وينقلب العدو صديقاً ، بينما سوء الخلق بالعكس من ذلك ، فكثيراً ما يبدل الصدوق عدواً ، وأية صفة أغلى من تلك ؟ وأفضع من هذه ؟

يرشد القرآن إلى هذه النقطة المهمة ، في قوله :

« إدفع بالتي هي أحسن ! فاذا الذي بينك وبينه عداوة ، كانه ولي حميم .. »

لكن هل هذا صنع كل أحد ، كلا وكلا :

« .. ولا يلقيها إلا الذين صبروا .. » ليس هذا فحسب « .. ولا يلقيها إلا ذو حظ عظيم »

إنه حظ عظيم حقيقة ، وأي حظ أكبر مما يجعل المناوئ وداداً ، والعدو حميا ؟! .

وسوء الخلق زمام كل شر : إن سيء الخلق يكذب ويغضب ، ويسب

ويلعن ، ويحقد ويضرب ، يكلح وجهه ويمنع رفده . . فكل إحسان أحسن ، وكل خير فعل إلى الناس ، يتلاشى أمام خلقه السيء ، ولنفرض أنه أعطى درهما لفقير اكتسب وده ، إنه بسوء خلقه وعبس وجهه ، يقلبه عدواً ، أو لنفرض أنه جلب لزوجه ما يرضيها ، لكن سوء خلقه سرعان ما يكدر الصفو ، ويورث العداوة . .

يقول الامام الرضا (عليه السلام) : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الخلق السيء يفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل » فالعسل الحلو يصبح حامضاً بالخل ، وكذلك العمل الحلو يصبح حامضاً بسوء الخلق !

في حسن الخلق خير الدنيا : من صداقة الناس ، وسؤدد ، وعيش هنيء . . والآخرة : من نعيم ، وحور ، وولدان ، ولم لا يكون فيه خير الآخرة ، والله يحب صاحبه ؟

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إن جبرئيل : الروح الامين ، نزل عليّ من عند رب العالمين فقال : يا محمد ، عليك بحسن الخلق ، فانه ذهب بخير الدنيا والآخرة . ألا : وإن أشبهكم بي أحسنكم خلقاً »

والطابع العام المسلم هو حسن الخلق ، فمن لا يحسن خلقه ، لا يكون مسلماً !

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): « خصلتان لا تجتمعان في مسلم : البخل ،

وسوء الخلق » .

ثم ما فائدة سوء الخلق ؟ هل يرفع مشكلة ، أو يجلب منفعة ، أو يدفع مضرة ؟ .

كلا . لا هذا ، ولا ذاك ، ولا ذلك ، إنه بالعكس يجلب كل ويل على الشخص نفسه قبل غيره فهو دائما مهموم مجانب ..

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من ساء خلقه عذب نفسه » .

ثم إنه لا يسود أحداً ، ولا يكون له خليل ! .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ في وصيته لولده محمد بن الحنفية :

« إياك والعجب ، وسوء الخلق ، وقلة الصبر ! فانه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب ، ولا يزال لك عليها من الناس مجانب ، وألزم نفسك التودد » .

ويقول الامام الصادق (عليه السلام) : « لا مروة لكذوب ، ولا أخ لملول ، ولا راحة لحسود . ولا سؤدد لسيء الخلق »

وسيء الخلق مادام منطبعاً على هذه الخصلة ، يكون على قمة الشرور ، كلما تحرك وقع في شر ، كمن على جبل ذلق ، فلا يتوب من سوء خلق ، إلا وسرعان ما يقع فيه ..

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ـ لأبي أيوب الأنصاري ـ : ما بلغ

من كرم أخـلاقك ؟ قال : لا اوذي جاراً فمن دونه ، ولا أمنعه معروفاً اقدر عليه ، ثم قال : ما من ذنب إلا وله توبة ، وما من تائب إلا وقد تسلم له توبته ، ما خلا سيء الخلق ، لا يكاد يتوب من ذنب ، إلا وقع في غيره اشد منه » .

ومن ساء خلقه كدر جوه ، كما يكدر الماء اطراف الأوحال ، لا يزال يبث الشر .. حتى تحيط به هالة من الكلوح ، يمجه من ينظر إليه ، ويجانبه كل صديق ، والويل ـ كل الويل ـ لعائلته ، والله يجزيه بالشر ، وإن صام وصلى ، وحج وأعتق .. إنه لابد ان يذوق ما اذاق الناس .

وهنا حديث يستغرب ـ بادىء النظر ـ لكنه لا غرابة له ، بعد ما علمنا من عدل الجزاء ..

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « اتى رسول الله ، فقيل له : إن سعد بن معاذ قدمات ! فقام رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » ، وقام اصحابه ، فحمل ، فامر بغسل سعد ، وهو قائم على عضادة الباب ، فلما ان حنط وكفن وحمل سريره ، تبعه رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » بلا حذاء ولا رداء ! .

ثم كان يأخذ يمنة السرير مرة ، ويسرة مرة ، حتى انتهى به الى القبر ، فنزل رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » ، حتى لحده ، وسوى عليه اللبن ، وجعل يقول : ناولني حجراً . ناولني ترابا رطباً ، يسد به ما بين اللبن ،

فلما ان فرغ ، وحثى التراب عليه وسوى قبره .

قال رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » : إني لأعلم أنه سيبلى ،ويصل إليه البلى، ولكن الله عز وجل يحب عبداً إذا عمل عملا فاحكمه . !

فلما ان سوى التربة عليه ، قالت ام سعد ـ من جانب ـ : هنيئاً لك الجنة !

فقال رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » : يا ام سعد ، مه ! لاتجزمي على ربك!

فان سعداً قد أصابته ضمة . . !

قال : فرجع رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » ، ورجع الناس . . فقالوا : يا رسول الله ، لقد رأيناك صنعت على سعد ، مالم تصنعه على احد ؟! انك تبعت جنازته بلا رداء ولا حذاء !!

فقال « صلى الله عليه وآله وسلم » : ان الملائكة كانت بلا حذاء ولا رداء ، فتأسيت بها . .

قالوا : فكيف تأخذ يمنة السرير مرة ، ويسرة السرير مرة ؟

قال : كانت يدي في يد جبرئيل ، آخذ حيثما أخذ . .

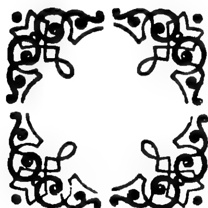
فقالوا : أمرت بغسله ، وصليت على جنازته ، ولحدته ، ثم قلت :

ان سعداً اصابته ضمة ؟ !

فقال « صلى الله عليه وآله وسلم » : نعم ، انه كان فى خلقه مع اهله سوء !! »

ان سوء خلقه سبب الضمة ، وان كان صلى عليه الرسول ، وشيعته الملائكة وجبرئيل ، وكان له في الاسلام سوابق ناصعة ، وصحائف بيضاء!

لا عجب ، فالله عدل ، لا تجوزه مظلمة ، وان غلف صاحبها بأغلفة العبادة والطـاعة .



الجود والبخل

ألجواد محبوب ، والبخيل مكروه ..

والبخيل مطوي أحشائه على الفقر ، وإلا فلم يبخل ؟ والجواد مطوي ضميره على الغنى ، وإلا فلم يعطي ؟ .

وهما سجيتان ، فلا يلازم الجود الثروة ، ولا البخل الفقر ، فرب بخيل غني ، ورب جواد فقير .

وهناك منزلة بين السرف والبخل ، هو الجود ، وهو الممدوح عقلا وشرعاً .

يحكى الله تعالى في القرآن الحكيم : وصية لقمان لولده : التي هي ملاك الاعطاء و القبض :

« .. ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط ، فتقعد ملوماً محسورا » .

والبخيل إنما يضيع على نفسه المدح والارتياح ـ في الدنيا ـ والثواب والأجر في الاخرى .

يقول الله تعالى : « وان تؤمنوا ، وتتقوا ، يؤتكم اجوركم ، ولا يسئلكم اموالكم ، ان يسئلكموها ، فيحفكم .. تبخلوا ، و يخرج اضغانكم ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ! .

فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغني وانتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا امثالكم »

ان المال وديعة « ولابد يوماً ان ترد الودائع » فلم يبخل الانسان بما ان اعطاه او جر ، وان منعه زجر ؟ والخلف من الله ، فلماذا لا يثق بخلفه؟

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « ان كان الخلف من الله عز وجل حقاً ، فالبخل لماذا ؟ » .

وقد تقدم حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : « خصلتان لا تجتمعان في مسلم : البخل وسوء الخلق » .

ان الشح رذيلة تافهة ، ينبغي ان يستعيذ الشخص منها ، وان يهيء ما عنده من حول و طول لطرده .

قال فضل بن ابي قرة : رأيت ابا عبد الله ـ الصادق ـ عليه السلام يطوف من أول الليل الى الصباح ، وهو يقول : اللهم قني شح نفسي !

فقلت : جعلت فداك ، ما منعتك تدعو بغير هذا الدعاء ؟ ! قال : واي شيءٌ أشد من شح النفس ؟ ان الله يقول : ومن يوق شح نفسه ، فاولئك هم المفلحون » .

هذا امام معصوم مقرب يدعو بهذا الدعاء ، في خير بقعة ، في ليل باكمله ، انه يستحق التأمل ، واخذ الدستور ، والاعتبار . .

ان الدنيا قد تقبل على اقوام وقد تدبر عن اقوام : فالمقبلة لا ينقصها العطاء ، والمدبرة لا يبقيها البخل ، ويتحسر البخيل على أي حال . .

قال الامام الصادق (عليه السلام): « عجبت لمن يبخل بالدنيا ، وهي مقبلة عليه ! اويبخل بها ، وهي مدبرة عنه ! فلا الانفاق مع الاقبال يضره ، ولا الامساك مع الادبار ينفعه » .

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طراً، قبل ان تتفلت
فلا الجود يفنيها، اذا هي اقبلت * ولا البخل يبقيها ، اذا هي ولت

والبخيل بعيد عن الجنة ، قريب الى النار ، أو فيها لا محالة .

يقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : « حرمت الجنة على المنان ، والبخيل والقتات » والقتات : النمام .

انه لايدخل الجنة ، وليس بمؤمن . قال الامام الصادق (عليه السلام) : « لا يؤمن رجل فيه الشح والحسد والجبن ، ولا يكون المؤمن جباناً ولا

حريصاً ، ولا شحيحاً » .

انه ليس بمؤمن كامل ، ولا يدخل الجنة ، إلا اذا تداركته رحمة من الله الكريم - لا البخيل -

والظالم بنظر الاسلام اقل جرماً من الشحيح ، وقد بين سبب ذلك الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) - فيما يرويه الامام الصادق عن أبيه الامام الباقر عليهما السلام - قال :

« ان علياً سمع رجلا يقول : الشحيح اعذر من الظالم ، فقال كذبت ان الظالم يتوب ويستغفر الله ، ويرد الظلامة على أهلها ، والشحيح اذا شح منع الزكاة والصدقة ، وصلة الرحم ، واقراء الضيف والنفقة في سبيل الله ، وابواب البر ، وحرام على الجنة ان يدخلها » .

ومن الرائع المثال الذي ضربه حاتم الطائي - الجواد المشهور - حين سئل منه : ممن تعلمت الجود ؟ قال : « من البناء : رأيت مالم يجعل على البناء اجراً ، لم يعط اخر » .

انه كذلك فالدنيا في الدوران : كل شيء منها دائر ، الفلك ، والأرض ، والحيوان ، والنبات . . وكذلك فلتكن الأموال . يرثها الابناء من الاباء ، والأحفاد من الأجداد . .

فلم البخل ؟ لاسبب له إلا جشع البخيل وسوء نظره ، ولذا قال

الامام الصادق (عليه السلام) : « الشح المطاع : سوء الظن بالله تعالى » .

ان البخيل بمعزل حتى عن المشورة ، فانه لضيق نظره يقرب الفقر، ويبعد الغنى . .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ياعلي ، لاتشاور جبانا ، فانه يضيق عليك المخرج ، ولاتشاور البخيل ، فانه يقصر بك عن غايتك ، ولا تشاور حريصاً ، فانه يزين لك شرها ، وأعلم ياعلي : ان الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة : يجمعها سوء الظن » .

الظن الحسن يهدي الى الأقدام ـ فيشجع الشخص ـ والى الاعطاء ـ فيجود ـ والى عدم الاهتمام الزائد بالمستقبل ـ فيرضى بالقسمة ، انه يرى النجاح والغنى وضمان المستقبل ، فلم الجبن والبخل والحرص ؟

واخيراً « السخي قريب الى الله ، قريب الى الجنة ، قريب الى الناس ، بعيد عن النار ، والبخيل بعيد عن الله ، بعيد عن الجنة ، بعيد عن الناس ، قريب الى النار » كما في الحديث .



الجار والصديق

هما ـ بعد الأقرباء ـ أولى الناس بالبر والصلة ، وكف الأذى ..

وقد أفرد الله اياهما بالذكر فى الكتاب الحكم ، قال :

« واعبدوا الله ! ولا تشركوا به شيئـاً ؟ وبالوالدين إحسانًا ! وبذى القربى ! واليتامى ! والمساكين ! والجار ذى القربى ؟ والجار الجنب! والصاحب بالجنب ! وابن السبيل ! وما ملكت ايمانكم ! إن الله لا يحب من كان مختالا فخوراً » .

والجار الجنب هو الجار الذي ليس بينك وبينه قرابة ، والصاحب بالجنب : هو الصديق أو الصديق في السفر ..

انهم وصية الله ، وفى عداد العبادة ..

قال مروان الكلبي : أوصانا ابو عبد الله عليه السلام ، فقال : « أوصيك بتقوى الله ، وأداء الأمانة ، وصدق الحديث ، وحسن الصحابة لمن صحبت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

انه ليس ذلك فحسب ، بل أكثر : ان من لا يصحب مصاحبه

بالحسنى ، ليس له رابطة بأهل بيت الوحي ..

قال ابو الربيع الشامي : كنا عند ابي عبد الله عليه السلام - والبيت غاص بأهله - فقال: «انه ليس منا من لم يحسن صحبة من صحبه ، ومرافقة من رافقه ، وممالحة من مالحه ، ومخالفة من خالفه » أي في الدين ، إتباعا لقوله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله » .

انه ليس الصديق المصادق المستمر فقط ، بل أول مراتبه المجالسة ، قال ابو جعفر عليه السلام :

« أخلص ودك للمؤمن ، وإن جالسك يهودي ، فاحسن مجالسته » .

وقد ضرب لذلك الامام أمير المؤمنين عليه السلام مثالا عملياً ، كما هو شأن الهداة من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ، في إتيان كل فضيلة يأمرون بها ، وترك كل رذيلة ينهون عنها .

قال الباقر عليه السلام : « ان علياً صاحب رجلا ذمياً ، فقال له الذمي : أين تريد ، يا عبد الله ؟ قال : أريد الكوفة ، فلما عدل الطريق بالذمي ، عدل معه علي ، فقال له الذمي : أليس زعمت تريد الكوفة ؟ قال : بلى ، فقال له الذمي : فقد تركت الطريق ؟ فقال له : قد علمت ، فقال له : فلم عدلت معي ، وقد علمت ذلك ؟ فقال له علي : هذا من تمام حسن

الصحبة : ان يشيع الرجل صاحبه هنيهة إذا فارقه ، وكذلك أمرنا نبينا ، فقال له : هكذا ؟ قال : نعم ، فقال له الذمي : لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة ، وانا أشهد اني على دينك ، ورجع الذمي مع علي (عليه السلام) فلما عرفه أسلم ! »

والجار : أمر بصلته الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وحد حدوده :

روى عن الصادق (عليه السلام) : « إن رسول الله أتاه رجل من الأنصار . فقال : يا رسول الله ، اني اشتريت داراً في بني فلان ، وان أقرب جيراني مني جواراً ، من لا أرجو خيره ، ولا آمن شره ، قال: فأمر رسول الله : علياً وسلمان وابا ذر ـ قال الراوي : ونسيت واحداً ، وأظنه المقداد ـ فأمرهم : ان ينادوا فى المسجد ـ باعلا أصواتهم ـ : « انه لا إيمان لمن لا يؤمن جاره بوائقه » فنادوا ثلاثاً . ثم أمر (صلى الله عليه وآله وسلم): فنودي : « إن كل أربعين داراً : من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه، وعن شماله ، يكون ساكنها جاراً له » قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فى وصيته عند وفاته ـ : « الله الله ! ! في جيرانكم . فانه وصية نبيكم ، ما زال يوصي بهم ، حتى ظننا انه سيورثهم » .

وقال الصادق (عليه السلام) : « ملعون ملعون من أذى جاره »وقال: « حسن الجوار يزيد في الرزق » .

السعي في الحوائج

المجتمع الحي هو المجتمع المبني على التعاون والتكاتف ، كل فرد منه يعاضد الآخر فى حوائجه ، ويشاركه في أحزانه وأفراحه . . فترى إذا نزلت نازلة على أحد ، هب الجميع لكفاحها ، وإذا احتاج فرد إلى حاجة ، سعى لها غيره . .

والأمر تبادل ، فمن سعيت له سعى لك ، ومن شاركته همومه شاركك همومك . .

ومن نظر إلى امة نظر فاحص ، رأى : ان كل فرد يهتم بأمور الآخرين ، يهتم بأموره ، وكل فرد ينفرد بحوائج نفسه ، كأنه ليس منهم ، نبذ كما تنبذ النوات ، فلا يعار له اهتمام ، ولا يسعى له في حاجة . . وكلما زاد تعاون الامة ، زاد رقيها ، وبالعكس : كلما انفصلت الأواصر بينهم ،

كثر الخمول والانحطاط .

وعلى هذا يأمر الاسلام قال الله تعالى :

« وتعاونوا على البروالتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» .

ان التعاون سمة الجماعة النشيطة ، والتفكك طابع الامة الخاملة . .

روى الامام الصادق عن آبائه عليهم السلام : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود (عليه السلام) : يا داود ، ان العبد ليأتيني بالحسنة يوم القيامة ، فاحكمه بها في الجنة (أي اجعله حاكما : المؤلف) قال داود : يا رب ، وما هذا العبد ، الذي يأتيك بالحسنة يوم القيامة ، فتحكمه بها في الجنة ؟ ! قال : عبد مؤمن ، سعى فى حاجة أخيه المسلم : أحب قضاءها . . قضيت له ، أم لم تقض » .

والساعي فى الحوائج محبوب ، كما ان الخامل ساقط ، وكل خير فى من يهتم بالأفراد ، وقد أكد الاسلام السعي فى الحاجات ، ورغب فيه ، وجعل لكل قضاء ثوابًا وحسنة :

قال علي بن الحسين (عليه السلام) : « من قضى لأخيه حاجته، فبحاجة الله بدأ وقضى الله بها مائة حاجة ، في إحداهن الجنة .

ومن نفس عن أخيه كربة ، نفس الله عنه كرب القيامة ، بالغًا ما بلغت .

ومن أعانه على ظالم له ، أعانه الله على إجازة الصراط ، عند دحض الاقدام .

ومن سعى له فى حاجة حتى قضاها له ، فسر بقضائها ، فكان كاد خال السرور على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومن سقاه من ظمأه ، سقاه الله من الرحيق المختوم .

ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة .

ومن كساه من عرى ، كساه الله من استبرق وحرير .

ومن كساه من غير عرى ، لم يزل فى ضمان الله ، ما دام على المكسي من الثوب سلك .

ومن كفاه بما هو يمتهنه ، ويكف وجهه . ويصل به يده ، أخدمه الله الولدان المخلدين .

ومن حمله من رحله ، بعثه الله يوم القيامة إلى الموقف على ناقة من نوق الجنة يباهي به الملائكة .

ومن كفنه عند موته ، فكأنما كساه من يوم ولدته امه إلى يوم يموت .

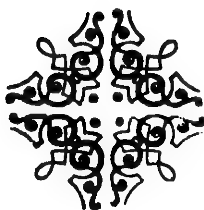
ومن زوجه زوجة يأنس بها ، ويسكن إليها ، آنسه الله في قبره ،

بصورة أحب أهله اليه .

ومن عاده عند مرضه ، حفته الملائكة ، تدعو له حتى ينصرف ، وتقول : طبت وطابت لك الجنة .

والله لقضاء حاجته ، أحب إلى الله : من صام شهرين متتابعين ، باعتكافهما فى الشهر الحرام .

وقال الصادق عليه السلام : « ما قضى مسلم لمسلم حاجة ، إلا ناداه الله : علي ثوابك ، ولا أرضى لك بدون الجنة » .



الصدق

إلتواء اللسان، ليس إلا أثراً من آثار القلب، كما ان استقامته من آثار إستقامته .

وكثير من الناس يزعم : انه يتمكن من لي مقوله ، ثم إخفائه على الناس .. لكن لو انطلى ذلك مرة ومرة .. لا ينطلي مرات ومرات ..

فالكذوب لا يزال يكذب ، حتى تبدو عورته بين الناس ، فلا يصدق في حديث ، ولا يقبل له خبر .

وليس الصدق والكذب يدوران مدار اللسان .. إن مدارهما الأفئدة ، فاذا صدقت ، صدق اللسان ، واليد ، والرجل .. وإذا كذبت كذبت كلها : ان أثم القلب : الذي التاث بالانحراف يكذب ، ويرائي

ويحب أن يحمد بما لم يفعل ، ويخلف الوعد ، ويخون ، و و . و أخيراً : الكذب والاجتماع طرفا نقيض .

قال الباقر عليه السلام : « إن الكذب خراب الايمان » .

الايمان يأمر بالصدق ، فالكذب خرابه ، بلا مراء . .

والكذاب تعاكس الأقدار بغيته ، انه يكذب ليكسب عزاً أو مالا أو . . لكنه لا يلبث حتى يعرف عند الناس بالكذب ، فلا يصدق له قول . ولا يوقر له حديث ، بل انه يخسر فوق ذلك أحاديثه الصادقة ، ووعوده التي ينوي الوفاء بها . .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ينبغي للرجل المسلم : أن يجتنب مواخاة الكذاب ، فانه يكذب ، حتى يجيء بالصدق ، فلا يصدق » ان ما ظهر من كذبه مانع عن تصديق ما يأتي به من الصدق فلا ينتفع بمثل هذا الصديق : إن كذبه كذب ، وصدقه مشكوك ، فلا حديثه ينفع ، ولا كلامه يسمع . .

يقال : ان راعياً كان يكذب كلما رعى غنمه ، فيصيح أيها الناس ، الذئب . .

فاذا اجتمع الناس لخلاصه ، تبين أمره ، وظهر كذبه ، فضحك على المجتمعين . . !

وتصادفا . توجه نحو غنمه ذئب ، فأخذ يصيح بكل حرارة وصدق ، لكنه عبثاً حاول جمع الناس فلم يأبهوا له ، حتى أخذ الذئب بعض أغنامه . .

ويقال : ان ولداً كان إذا سبح مع زملائه ، ابتعد عنهم قليلا ، ثم أرى نفسه غريقاً ، ويستصرخ رفاقه للنجدة ، فاذا أدركوه، سبح وضحك منهم .

وصدفة : أصابه الغرق ـ فى بعض تلك الأحيان ـ فأخذ في الأستصراخ، لكنه بلا جدوى ، فلم يلتف إليه زميل . . ظناً انه يكذب، حتى قضى الأمر ، وهلك .

والظريف : ان الكذاب قليل الذاكرة ، وهو طبيعي . فان العمل يبقى فى الحافظة أما نسج اللسان ، فيتلاشى في الهواء ، فهو ينسى ما قال . حتى يفتضح إذا استفسر .

قال الصادق عليه السلام : « ان مما اعان الله على الكذابين ، النسيان » .

انه يعين على فضيحتهم ! وبذلك يذهب رونقه ، ولا يعتمد عليه

يروي الصادق عليه السلام ـ عن عيسى بن مريم عليهما السلام ـ قال . « من كثر كذبه ذهب بهاؤه » .

وقد يستصغر الناس هذا الكذب ، لكنه كذب على أي حال ، وهو يسقط المروءة ويهين الرجل ، ولذلك يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): « لا يجد عبد طعم الايمان ، حتى يترك الكذب ، هزله وجده » .

فان للاستقامة طعما لذيذاً شهياً ، كسائر ملكات النفس ، إن العلم والحلم ، والاخلاص والرأفة .. لها مذاق حلو ، وكذلك الصدق في في كل شيء ، ولعل إلى هذا تشير الآية الكريمة :

« فأعقبهم نفاقا في قلوبهم ، بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون » .

إن الكاذب ، والخلف .. لا يمضي زمان ، حتى ينقلب له التواء في القلب : ظاهر وباطن : وهذا هو النفاق ، والله لم يعقبهم هذا ـ قسراً ـ كما يظن الجبريون ، بل هو من الآثار الطبيعية للحلف والكذب ..

وإذاً فلا عجب : أن يكون الكذب شراً من الخمر ، التي هي مفتاح كل شر ..!

قال الباقر (عليه السلام) : « ان الله عز وجل جعل للشر أقفالا ، وجعل مفاتيح تلك الأقفال : الشراب ، والكذب شر من الشراب » .

الشر : زنا ولواط وسحق .. ضرب وشتم ولكز .. أكل الحرام من ميتة ودم وغصب .. سرقه ونهب وغلول .. و .. وإقفال

هذه المانعة عن بروزها : عقل وحياء وحق من الحق ٠٠ والخمر باذهابها للعقول تفتح الأقفال ٠٠ فالشارب يرتكب كل شيء . !

والكذب : من مراتبه : الافتراء على الله ، والبدعة فى الدين ، ودعوى ما ليس له : من رسالة أو وصاية أو نحوها ٠٠ و هذه شر من تلك - بديهة - .

وأحيانًا يفلت زمام اللسان من يد الا نسان ، فيكذب كذبة ، ثم يندم ، انه ليس بكذاب ولا يترتب على فعله هذا ما يترتب على فعلة الكذاب ، من ذهاب البهاء ، وعدم التصديق ، والعقاب . ولذا يقول الامام الصادق عليه السلام - بعد ما سئل : الكذاب هو الذي يكذب فى الشيء ؟ - : « لا ، ما من أحد ، إلا يكون ذاك منه ، ولكن ٠٠ المطبوع على الكذب » .

* * *

ومن الكذب : الرياء ، فيعمل الرجل عملا يريد به وجه الناس ورضاهم - لغاية أو لغير غاية - وهو يرى انه أراد وجه الله . !

لكن الله لا ينطلي عليه ، فهو الخبير بالسرائر ٠٠ انه يخسر بذلك ود الناس ، ورضا الله فالله يعلم سريرته ، فلا يثيبه ، ويظهر للناس قصده ، فيسقط من أعينهم .

ومن الظريف : انه ألفت قلبه إلى الناس ، ولم يظهر على ملامحه ما نواه ، لكن الناس ـ بعد لأي ـ يعلمون قصده ، فتفسد دنياه كما فسد دينه .

قال الصادق (عليه السلام) ـ لعباد بن كثير ، في المسجد ـ : « ويلك يا عباد ؟ إياك والرياء ، فانه من عمل لغير الله ، وكله الله إلى من عمل له » .

وفي هذا الحديث إشارة إلى قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : انه قال : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . . ! قيل : وما الشرك الأصغر ، يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل يوم القيامة ـ إذا جازى العباد بأعمالهم ـ : إذهبوا إلى الذين كنتم ترائون في الدنيا! هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم ؟ ! »

والله تعالى يرد عمل المرائي بحجة ظريفة . .

قال الصادق عليه السلام : « قال الله عز وجل : انا خير شريك ، من أشرك معي غيري ، لم اقبله إلا ما كان لي خالصاً » .

أليس الشريكان في متجر أو أرض أو . إذا وهب أحد الشريكين حصته لشريكه ، كان خيراً ، والله له هذه المنزلة : ان العمل المشترك : إن كان خيراً . فالله يهب حصته لشريكه : وإن لم يكن خيراً ، فالله لا

يجازي الا على الخير . !

ثم ما يبتغي المرائي ؟ أيبتغي حسن السمعة ؟ انه يحصل اذا أخلص، فان الله يظهر كل خير وكل شر .

قال الصادق (عليه السلام) « ما من عبد يسر خيراً ، الا لم تذهب الايام حتى يظهره الله تعالى له خيراً ، وما من عبد يسر شراً ، الا لم تذهب الا يام ، حتى يظهر له شراً » .

* * *

ومن الكذب الفضيع : شهادة الزور ، انها تبتز الأموال عن أصحابها ، وتهدر الحقوق عن ذويها ، وتلحق الأولاد بغير آبائهم ، وتثبت المناصب لغير أهليها . .

وقد وصف الله المؤمنين بأنهم « الذين لا يشهدون الزور » .

وغالب المفاسد التي تترتب على الاستغلال ، تحذفها شهادة الزور ، وما اغتصاب الدول القوية : حقوق الضعفاء وأموالهم وبلادهم . . الا نتيجة لوساطة هذه الرذيلة المجرمة .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « تقبلوا الي لست ! أتقبل لكم بالجنة: اذا حدث أحدكم . فلا يكذب . واذا وعد فلا يخلف . واذا اؤتمن فلا يخن . وغضوا أبصاركم . وكفوا أيديكم . واحفظوا فروجكم .

والشاهد زورا عليه الوزر ، ولغير المهناه . انه يجر جر الى نفسه خطأً فادحا ـ وعلى الأكثر ـ : لا ينتفع الا برشى قليلة ، فهو بذلك يحتقب اثمين : اثم الزور ، واثم الرشوة ، ولا عجب من تشبيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له بمن يعبد الأصنام ، قال : « شاهد الزور كعابد الوثن » .

ان الله عين لكل رزقا . فمن سعى وطلب ، أتاه . وعين لكل جاهًا وأصدقاء .. فمن مشى عدلا ، وقال صدقا ، سيق اليه .. فلم يملأ بطنه من سحت ؟ ويريق ماء وجهه بالزور ؟ ويكتسب صداقة خائن ؟

ثم ما نفع الأفاكين ؟

أليس هم أقل الناس قدراً ؟ وأبشعهم صورة ؟ واقلهم ثروة ؟

ومن شك في ذلك . فلينظر الى اشهاد الأفك حول المحاكم ، الذين يتقاضون شيئًا يسيراً ، لا بطال الحقوق ، وهدر الأموال .

ينظر اليهم الانسان ، وكأنه ينظر الى وجوه الشياطين ، وشمائل الغيلان .. !

* * *

ومن الكذب : خلف الوعد ، ويقابله الوفاء بالوعد ، وقد مدح الله اسماعيل النبي (عليه السلام) بوفائه للوعد ، قال تعالى : « واذكر في الكتاب

اسماعيل، انه كان صادق الوعد» .

ان الوفاء يدل على الشهامة والمروة ، واستقامة العمل .. ومن لا يريد الوفاء احرى به ان لا يعد ، فان حمل الوعد اثقل ، من مجابهة الرد .

والخلف من صفات المنافقين ، أليس المنافق من لا يوافق لسانه وعمله ضميره ؟

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اربع من كن فيه فهو منافق ، وان كانت فيه واحدة منهن ، كانت فيه خصلة من النفاق ، حتى يدعها : من اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » .

وقد يقع الانسان فى وضع حرج ، لا يتمكن من الوفاء ـ بعد ما نوى خيراً ـ وهذا لايلام ، اما من يعد وهو ينوي الخلف ، او يعاهد وفى ضميره الغدر . او لا يبالي بالمواعيد فانه مذموم ، بعيد عن الرفعة النفسية ، والخلق الجميل .

وليس من العذر ان الوعد مع فاجر ، فيخلف . ان الفاجر ينبغي ان لا يعده الشخص ، لا ان يخلف ما وعده .

قال ابو عبد الله عليه السلام : « ثلاثة لا عذر لأحد فيها :

اداء الأمانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد للبر والفاجر . وبر الوالدين برين كانا او فاجرين » .

ان الاجتماع الصحيح يبتنى على اواصر من الوفاء ، فان المعاملات والعقود ، والعهود مع الدول والترابط بين البائع والشاري .. كلها تتوقف على الوفاء .

ولذا قال الامام علي بن الحسين - فى جواب سؤال ابي مالك : اخبرني بجميع شرائع الدين ؟ - : « قول الحق ، والحكم بالعدل ، والوفاء بالعهد » .

ان الوفاء بالعهد ، من شارات العدالة ، التي هي مناط الامامة والقضاء .. فلا عدالة لمن لا وفاء له : فان من يخالف قوله عمله لا يؤمن على حدود الله وأحكامه .

قال الصادق (عليه السلام) : « ثلاث من كن فيه ، أو جبن له أربعاً على الناس . من إذا حدثهم لم يكذبهم ، وإذا خالطهم لم يظلمهم ، واذا وعدهم لم يخلفهم .

وجب ان تظهر فى الناس عدالته ، وتظهر فيهم مروته ، وان تحرم عليهم غيبته . وان تجب عليهم اخوته » .

انه ليس ميزان الصلاح فى الدنيا فقط . بل الموفي بالعهد مقترب

في الآخرة الى الله زلفى ، في يوم تكثر شقته ، وتثقل وطأته .

قال الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أقربكم غدا مني في الموقف اصدقكم للحديث ، وأداء الأمانة ، وأوفاكم بالعهد، وأحسنكم خلقاً ، واقربكم من الناس » .

انها حقاً خصال جميلة ، تقرب الشخص الى الله ورسوله والى الناس ، على حد سواء :

صدق الحديث :

اداء الأمانة !

الوفاء بالعهد !

حسن الخلق !

القرب الى الناس !

وفى الحقيقة انها جوامع الخير ، ومجامع الأخلاق ، ومشاعل طرق الانسانية الرفيعة .

* * *

ومن الكذب : النفاق ، بل هو من اسوء اقسامه . ان الكاذب يكذب ، لكنه لا يجمع بين طرفي نقيض ، هنا صورة ولسان ، وهناك صورة ولسان .

والمنافق بعيد عن كل معنى الشرف ، ولا ينافق إلا من نضب معين الحياء والأمانة والحق . . فى قلبه ، انه جماع خصال الشر ، وبؤرة دنايا الصفات .

قال الباقر (عليه السلام) : « بئس العبد عبد يكون ذا وجهين ، وذا لسانين ، يطري أخاه شاهداً ، ويأكله غائباً ، ان أعطى حسده ، وإن ابتلى خذله » .

وفى الحق : انه بئس العبد : صديق وعدو ! ! محب ومبغض ! !

إن باطله يذهب بحقه ، وقبحه يذهب بحسنه .

فالعدو عدو ، والصديق صديق ، وهذا وحده عدو المغيب صديق المشهد . .

« هم العدو » على حد تعبير القرآن الحكيم .

قال الصادق (عليه السلام) : « من لقى الناس بوجهه ، وعابهم بوجه ، جاء يوم القيامة وله لسانان من نار ! » .

ثم ما ينفعه نفاقه ، انه - عن قريب - يظهر وجه الثاني ، فيجتنب من حيث أراد أن يقترب .

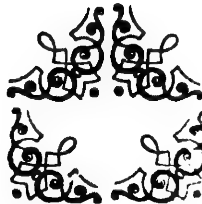
قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « ما أضمر أحد شيئاً ، إلا ظهر فى

فلتات لسانه ، وصفحات وجهه » .

يروى : انه كان فيما أوحى الله إلى عيسى بن مريم (عليهما السلام) انه تعالى قال : « يا عيسى ، ليكن لسانك فى السر والعلانية ، لساناً واحداً وكذلك قلبك .

اني احذرك نفسك ، وكفى بي خبيراً . . !

لا يصلح لسانان فى فم واحد ، ولا سيفان فى غمد واحد ولا قلبان فى صدر واحد » .



العدل والنصفة

الطبائع على الأغلب ميالة إلى الظلم ، حتى قال الشاعر :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفـــة ، فلعلة لا يظلم

ان النفس الضعيفة كالميزان المتفكك ، إما تميل هذه الكفة ، أو تميل تلك .. ولا تتوازيان ، فهي تظلم فى الحكم وتظلم فى الأخذ والعطاء والقضاء والاقتضاء . والمذهب والمسلك .. لكن النفوس القوية كالقسطاس المستقيم ، لا ينحرف بهـا زيغ ، ولا يميلها هوى ، وإن كان فى المحكوم عليه جهة تخصه من قريب أو صديق .

قال تعالى : « وإذا قلتم ، فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى » .

أو كان بين المحكوم له وبينه احن وعداوات .

قال تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين شهداء بالقسط ، ولا يجرمنـــكم شنآن قوم : على ان لا تعدلوا ، اعدلوا ! هو اقرب

للتقـــوى » .

ان الله عدل ، خلق العـالم بالعدل ، وقـدر اقوات النـاس ، وانصبتهم من السعة والضيق .. بالعدل ، ولا يأمر إلا بالعدل ، ولا ولا يجازي بالجور .

« قل : امر ربي بالقسط » « وامرت لأعدل بينكم » واقسطوا! إن الله يحب المقسطين » .

« لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ، وانزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط » .

فمن لا يعدل يخرج عن قوانين الكون ، وسنـــة الله في الخلق والرزق ..

واصعب اقسام العدل هو النصفة ، إن الشخص قد يعدل ولو على قريبه او حبيبه ، لكن ان يعدل على نفسه ، فيعطي الحق لذي الحـق ، ويحرم نفسه ، فهو ثقيل ينوء به ذوو الهمم العـالية ، فكيف بسـائر النـــاس .

قال الحذاء : قال لي ابو عبد الله (عليه السلام) : « ألا اخبرك بأشدما افترض الله على خلقه ؟ انصاف الناس من انفسهم ، ومواساة الاخوان فى الله عز وجل . وذكر الله على كل حال : فان عرضت له طاعة الله عمل بها

وإن عرضت له معصيته تركها » .

انها من أشد الامور ، لكنها من أفضل الامور :

ينصف الناس من نفسه ، فيصرح بما لهم من حق عليه : إجتماعي أو مالي أو . . فيعطيهم الحق ويحرم نفسه . بل ويذهب ماء وجهه .

ويواسي الاخوان في الحزن والفرح والمال والجاه . . انه عزيز، وعزيز جداً .

وذكر الله على كل حال ـ لا ان يلهج بالذكر فقط ـ بل أن يجعل الله أمام عينه ، لا يحرك يداً ولا رجلا ، ولا تطرف له عين ولا تستشرف له اذن ، ولا يتحرك له لسان ، ولا يهيج له ملمس إلا في رضا الله ! ! ! انه أشكل الامور .

« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله اكبر » .

ان ذلك هو ذكر الله ، لا أن يقول : سبحان الله . . الحمد لله . لا حول ولا قوة إلا بالله . .

وقد بين ذلك الامام الصادق (عليه السلام) ـ في حديث آخر ـ قال ابو المنذر : سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول : « سيد الأعمال ثلاثة : انصاف الناس من نفسك : حتى لا ترضى بشيء إلا رضيت لهم مثله ، ومواساتك الأخ في المال وذكر الله على كل حال . .

ليس سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله فقط . . !

ولكن إذا ورد عليه شيء أمر الله عز وجل به ، أخذت به ، وإذا ورد عليك شيء نهى الله عز وجل عنه تركته . . ! » .

والانسان ربما يستقيم له الطبع ، فيعدل ، فى أعماله وأقواله ، لكن يبقى من الالتواء فى طي فؤاده شيء ، به يخرج عن الاستواء فى أحوال طارئة ، كالغضب الشديد ، والفرح البالغ . . فعلى الانسان أن يراقب نفسه فى مثل هذه الأحوال . . كي تصفو نفسه وتصقل روحه . .

ان السيارة قد تكون مستقيمة السير ، لكنها ما لم تصدم بهضبة أو حصوة . . أما السيارة المستقيمة حتى فى مثل هذه الطوارئ ، فيلزم لها من الضخامة واكتمال الأجهزة ، ما ليس لغيرها .

وإلى هذا يلمع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

روى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عليهم السلام : « قال : مر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوم يرفعون حجراً ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : نعرف بذلك أشدنا وأقوانا ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : الا اخبركم بأشدكم وأقواكم ؟ قالوا : بلى ، يا رسول الله ، قال : أشدكم واقواكم : الذي إذا رضي ، لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل ، وإذا سخط ، لم يخرجه سخطه عن قول الحق ، وإذا قدر ، لم يتعاط ما ليس له بحق » .

انه ميزان العدل ، وشارة صلاح النفس وسمة القوي : قوى النفس والروح .

وما يخاف من يترك الحق الى الجور ؟ ايخاف الفقر ام يخاف الضياع ؟ كلا ! فالله ضمن الأمرين للقائل بالحق : الغنى والجاه ، فما يبتغي بعد ذلك ؟

قال الصادق (عليه السلام) : « ما ناصح الله عبد فى نفسه ، فأعطى الحق منها . واخذ الحق لها ، الا اعطي خصلتين : رزق من الله يسعه ، ورضى عن الله ينجيه » .

ينجيه مما يخاف من كيد من لا يرضى بعد له ، ان رضى الله كاف عن رضى الناس . !

والظلم عاقبته وخيمة .

ان الله لم يسلط احد على احد ليظلمه ؛ وهو للظالم بمرصاد ، ويوفر نصيب الظالم فى الدنيا قبل الآخرة .

يقول الله تعالى : « ولقد اهلكنا القرون من قبلكم ، لما ظلموا » « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون » واعتدنا للظالمين عذاباً اليما » « ان الله لا يهدي القوم الظالمين » .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اياكم والفحش ! فان الله عز وجل ،

لأ عيب الفاحش المتفحش ، وإياكم والظلم ! فان الظلم عند الله : هو الظلمات يوم القيامة ، وإياكم والشح ! فانه دعا الذين من قبلكم ، حتى سفكوا دماءهم ، ودعاهم حتى قطعوا ارحامهم ، ودعاهم حتى انتهكوا ، واستحلوا محارمهم » .

والظلم ـ قبل كل شيء ـ دليل على عدم الخوف من الله ـ بخط مستقيم ـ انه لو خاف الله ، وحذر عقابه ، ورجا ثوابه لم يظلم .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « من خاف ربه كف ظلمه » .

والظالم معاقب على كل حال . .

فمن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « دعوة المظلوم مستجابة . » .

« تنام عيناك ، والمظلوم منتبه يدعو عليك ، وعين الله لم تنم »
وأشد الظلم : ظلم من لا يجد ناصراً ، فلا يزعم الظالم انه غير متدارك

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يقول الله عز وجل : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري » .

ان من يشرب الخمر تؤثر في عقبه . ومن يأكل السم يورث فى أولاده ، وكذلك من ظلم أحداً ، انه يعاقب ؛ ولو فى أولاده ، هذه سنة الكون .

قال ابو عبد الله (عليه السلام) : « من ظلم سلط الله عليه من يظلمه ، أو على عقبه ، أو على عقب عقبه ...» ان الله يقول : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ، خافوا عليهم ، فليتقوا الله ! وليقولوا قولا سديداً » .





لسان السوء

ان هذه الجارحة : أعني اللسان ، مع صغرها ، يقوم بجلائل ، فهو ثاني اثنين القلب ، ولذا يقال :

« انما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » .

يأتي من اللسان الخير ، ويأتي منه الشر ، وكلاهما عظيم . !

فخيره : الارشاد ، والهداية ، وقول الحق ، والأمر بالحسنى .

وشره : الغيبة ، والنميمة ، والسعاية ، والاستهزاء .

والاسلام يريد أن يكون اللسان طاهراً عن الأقذار ، نظيفاً عن الحصائد الخبيثة .

١ — لا يغتب : أي لا يذكر الآخر - في غيابه - بسوء .

ان كل أحد - ما خلا أفراد قلائل - يحيط به نقائص ، فما اشتغال

المرء بنقائص غيره ، وهو مليء بالنقيصة ، من قرنه إلى قدمه ؟

ومن سكت عن الناس سكتوا عنه ، ومن مدحهم مدحوه ، ومن شنأهم شنأوه .

وفى كل أحد محسنات ونقائص ، فلم يشتغل الشخص بنقائصه ؟ولو ذكرها ذكروه بمثلها .

لسانك لاتبدي به عورة امرىء فعندك عورات ، وللناس السن

ان من يذكر الناس بسوء ، يكون كالبعوض القذر ، الذي يترك مواضع الجسد الظريفة ، ثم يحط على القبح والوسخ .

والغيبة تملأ الأفئدة قيحا ، وتكدر صفاء الاخوة بين الناس ، وقد نهى الله عن ارتكابها .

قال تعالى : « يا أيها الذين الذين آمنوا ، اجتنبوا كثيراً من الظن ! ان بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً ! أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟ فكرهتموه ! واتقوا الله! إن الله تواب رحيم » .

انه اخوك ، وغيابه كموته ، وعرضه كلحمه ..!

إن النفس لتمج اكل لحم الأخ وهو ميت ، فكيف تأكل لحمه هكذا ..؟

والغيبة تهدم الدين في سرعة ، كما يهدم المرض الجريء البدن في سرعة .

قال الصادق (عليه السلام) : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم ، من الآكلة في جوفه » .

أليس الدين صفاء واخوة ، واتحاد : وتعاون ، وعطف والفة ..؟

وأليس كلها تذهب إدراج الغيبة ؟

والناس قد يستسهلون في الوقوع على أعراض الناس ، ولذا ورد التأكيد المشدد في تحريم هذه الخلة .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : فيما يرويه نوف البكالي ـ :

« إجتنب الغيبة ، فانها ادام كلاب النار ، ثم قال (عليه السلام) : يا نوف ، كذب من زعم انه ولد من حلال ، وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة ..! » .

انه شرك شيطان ـ كما في بعض الأحاديث ـ ولو لم يشترك الشيطان معه في النطفة فمم هذا الحب الدائب في أكل لحوم الناس ؟ إن الحرام الذي يأكله الشخص يؤثر ـ كما يؤثر البارد والحار ـ في النطفة ، وبذلك يخرج الولد بعد انعقاده من النطفة : المتكونة من المال الحرام ...!

وبعض الناس يزعم : ان لو رأى عينه من المغتاب قبيحاً ، اتسع له الكلام حوله .

وقطعاً لهذه المزاعم يقول الامام الصادق (عليه السلام) :

« من قال في اخيه المؤمن : ما رأته عيناه ، وسمعته اذناه ، فهو ممن قال الله عز وجل : ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة »

٢ — ولا ينم : أي لا ينقل كلام أحد إلى أحد ـ يريد تفرقة وفتنة ـ .

انه عمل المنافق الذي لا يخاف الله ، فالله أمرنا بالتحبيب والتأليف، لا بالتفريق والتشتيت . . وقد نهى الله تعالى نبيه عن إعارة هؤلاء سمعاً

قال تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم » .

والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أراح النمام ـ مرة واحدة ـ وصب على يديه ماء اليأس ، فلا يترقب الجنة . وهو نمام ، فانه (صلى الله عليه وآله وسلم) : « نهى عن النميمة ، والاستماع إليها . وقال : لا يدخل الجنة قتات : يعني نماماً، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يقول الله عز وجل : حرمت الجنة على المنان ، والبخيل والقتات : وهو النمام » .

وإلى هذا يشير الامام الصادق (عليه السلام) ـ فيما قاله للمنصور :

الخليفة العباسي ـ : « لا تقبل في ذي رحمك ، وأهل الرعاية من أهـــل بيتك ، قول من حرم الله عليه الجنة ، وجعل مأواه النار ، فان النمام شاهد زور ، وشريك إبليس فى الاغراء بين الناس ؛ فقد قال الله تعـــالى : يا أيها الذين آمنوا ، إن جاءكم فاسق بنبأ ، فتبينوا ، ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ٠ ! » .

ان الله يحب الالفة والتأليف ، والنمام يحب الفرقة والتفريق ، انه يضاد الله في إرادته وسيعلم جزاءه عن قريب .

روى الصادق عن آبائه عليهم السلام : « قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : المؤمن غر كريم ، والفاجر خب لئيم ، وخير المؤمنين : من كان مألفة للمؤمنين ، ولا خير في من لا يألف ولا يؤلف .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) شرار الناس من يبغض المؤمنين ، وتبغضه قلوبهم: المشاؤون بالنميمة والمفرقون بين الأحبة ، الباغون للبراء العيب ، اولئك لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم .

ثم تلا : هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم ».

٣ — ولا يسعى إلى ظالم ، فيهلك نفسه ؛ ويهلك المظلوم ـ بأذاه له ـ ويهلك الظالم .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ان شر النـاس ـ يوم القيامة ـ

المثلث ! قيل : وما المثلث ، يا رسول الله ؟ قال : الرجل يسعى بأخيه إلى إمامه فيقبله ، فيهلك نفسه وأخاه ، وإمامه » .

ومن ظريف ما يروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) :

ان رجلا أتاه يسعى إليه برجل ، فقال : « يا هذا ، نحن نسأل عما قلت ؟ فان كنت صادقاً مقتناك ، وان كنت كاذبا عاقبناك ، وان شئت ان نقيلك أقلناك » قال : اقلني يا أمير المؤمنين !

٤ — ولا يبهت أحداً : بأن ينسب اليه سوءاً ، وهو عنه بريء .

ومن الطبيعي أن يتضاعف للباهت العذاب ، انه كذب ونميمة .

ولذا يعظمه الله تعالى في قوله : « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ، ثم يرم به بريئاً ، فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً » وقال ، في قصة الافك المشهورة ، التي رمى فيها بعض المنافقين احدى زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخيانة الجنسية — : اذ تلقونه بألسنتكم ، وتقولون — بأفواهكم — : ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هيناً : وهو عندالله عظيم . . ! لولا اذ سمعتموه قلتم : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ؟ ! سبحانك هذا بهتان عظيم . . ! يعظكم الله : أن تعودوا لمثله . . » .

روى الامام الرضا عن آبائه عليهم السلام : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من بهت مؤمناً أو مؤمنة ، أو قال فيه ما ليس فيه ، اقامه الله تعالى — يوم

القيامة ـ على تل من نار ، حتى يخرج مما قاله فيه » .

وانى له ان يخرج ، فانه بهتان وإثم ؟ !

٥ ـ ولا يفشي عيباً ، فان المجتمع متماسك بالفضائل ، حتى يجاهر أحد برذيلة ، أو يفشي احد رذيلة آخرين ، فبذلك يتجرأ العاصي ، ويتجرأ غيره ، فيستبدل المجتمع الرذيلة بالفضيلة ، حتى يتفكك ويسقط في نير الفساد والانحلال .

يقول الله تعالى : ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم » .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) « الا ومن سمع فاحشة ، فأفشاها ، فهو كالذي اتاها .

ومن يعلن بعيوب الناس ، اعلنوا بعيوبه ، ومن سكت سكتوا عنه .

روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال : « كان بالمدينة اقوام لهم عيوب ، فسكتوا عن عيوب الناس ، فأسكت الله عن عيوبهم الناس ، فماتوا ولا عيوب لهم عند الناس ، وكان بالمدينة اقوام لا عيوب لهم ، فتكلموا في عيوب الناس ، فأظهر الله لهم عيوباً ، لم يزالوا يعرفون بها الى ان ماتوا » .

وكشف عيب الناس ، اسوأ من كشف عورتهم ، فالأول تحط من قدر المجتمع ، بينما الثاني يحط من قدر الفرد .

قال حذيفة بن منصور : قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) : شيء يقول الناس : عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ قال : « ليس حيث تذهب ، انما عورة المؤمن ان يراه يتكلم كلام يعاب عليه ، فيحفظه عليه ليعيره به يوماً اذا غضب .

وفي حديث آخر « . . . انما هو اذاعة سره » .

٦ – ولا يسخر ، ولا يهمز ، ولا يلمز ، ولا يغمز .

ان من يسخر الناس يسخرون منه ، ولو هابوه سقط مكانه عن القلوب ، وهذا اقل جزاء يلقاه ، والله يجازي على السخرية سخرية.

قال الله تعالى : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم ، فيسخرون منهم . سخر الله منهم ، ولهم عذاب أليم .

« يا أيها الذين آمنوا ، لا يسخر قوم من قوم ! عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء ! عسى ان يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ، ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون . ! » .

والمستهزىء ، سرعان ما يبغضه الناس .

ولذا قال الامام الصادق (عليه السلام) : « لا يطمعن المستهزىء بالناس

في صدق المودة » .

ولعل المستهزأ به من أولياء الله تعالى ، ويضاعف عقاب المستهزىء.

قال رسول الله (ﷺ) : « ان الله عز وجل كتم ثلاثة في ثلاثة: كتم رضاه في طاعته ، وكتم سخطه في معصيته ، وكتم وليه في خلقه .

فلا يستخفن أحدكم شيئاً من الطاعات ، فانه لا يدري في ايها رضاه !

ولا يستقلن أحدكم شيئاً من المعاصي ، فانه لا يدري في أيها سخط الله!

ولا يزرين أحدكم بأحد من خلق الله، فانه لا يدري أيهم ولي الله!»



الأمانة

من شارات استقامة الروح ، وسلامة النفس ، ان يكون الانسان محفظة صدق لكل ما يودع فيه او عنده ، من سر أو مال . . فالصندوق الملتوي يبخل بما اودع فيه ، أما الصندوق المعتدل فيفرغ كل مال أو نقد متى شاء المودع .

وقد جعل الله تعالى من سمات المؤمنين البارزة اداء الأمانة ، فقال:

« قد افلح المؤمنون . . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون »

فلا إيمان لمن لا أمانة له ، كما لا إيمان لغير راعي العهود . .

والانسان قد يظن الأمانة شيئاً طفيفاً ، لكنها لدى التجربة اثقل من الجبال واثقل ، إلا لمن عصمهم الله ـ وقليل اولئك ! ـ .

وليس عرضاً ما نوه به القرآن الحكيم ، بهذا الصدد :

« انا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، فأبين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان ، انه كان ظلوماً جهولا » .

انه تشبيه بليغ ، فان اقوى الموجودات وارساها ، تأبى عن قبول الأمانة ، لكن الانسان يقبل ، ثم يخون ، انه يظلم نفسه بذلك ، ويجهل عاقبة الخيانة الوخيمة .

ان من تتبع احوال الامناء ، ورأى كثرة خيانتهم ، او جرب نفسه عند امانات تودع عنده ، وان كان بمكانة من التنزه والاحتفاظ . . علم علم اليقين ثقل الأمانة ، وانها تنوء بها الجبال الرواسي فكيف بالانسان الظلوم الجهول ؟ !

والى هذا الثقل يشير الامام الصادق (عليه السلام) ، قال :

« احب العباد إلى الله عز وجل : صدوق في حديثه ، محافظ على صلاته ، وما افترض الله عليه مع اداء الأمانة . من اؤتمن على امانة،فأداها فقد حل الف عقدة من عنقه من النار ، فبادروا بأداء الأمانة ! فان من اؤتمن على امانة ، وكل به إبليس مائة شيطان : من مردة اعوانه ليضلوه ، ويوسوسوا اليه ، حتى يهلكوه ! الا من عصم الله عز وجل » .

واداء الأمانة : ميزان الصلاح بنظر الاسلام ، لا الصلاة

والصيـــــام ..

روى ابو جعفر الثاني (عليه السلام) عن آبائه عليهم السلام ، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال : « لا تنظروا الى كثرة صلاتهم وصومهم ، وكثرة الحج والمعروف ، وطنطنتهم بالليل ، ولكن انظروا الى صدق الحديث ، واداء الأمانة » .

ان كل شيء دون المال لا يأبه به ، فانها اوراد واعتيادات ، أما المال والمال وحده فهو الميزان العادل ، والخط الفاصل ، وقليل من ينجح في هذا الامتحان .

وقد ينحت المؤمن لنفسه من الأعذار ، ما هو اعلم بها .

لكن الاسلام يأبى كل عذر ، ويعتبره خيانة وغدراً ..

قال الثمالي : سمعت علي بن الحسين عليهما السلام ، يقول لشيعته : « عليكم بأداء الأمانة ، فو الذي بعث محمداً بالحق نبياً ، لو ان قاتل ابي : الحسين بن علي (عليه السلام) ، ائتمنني على السيف الذي قتلـــه به ، لأديته اليه » .

ويشبه هذا ما قاله الامام الصادق (عليه السلام) : « اتقوا الله ، وعليكم بأداء الأمانة إلى من ائتمنكم ، فلو ان قاتل أمير المؤمنين (عليه السلام) ،

ائتمني على أمانة ، لأديتها اليه » ، وفي حديث آخر عنه (ﷺ) : «أدوا الأمانة ، ولو إلى قاتل الحسين بن علي » .

والخائن ـ كثيراً ما ـ يخون لتوفير ماله ، لكن الأقدار تعاكسه ، فتفقره .

عن جعفر عن ابيه عليهما السلام قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الأمانة تجلب الغناء ، والخيانة تجلب الفقر » .



المشورة

الاستبداد لا يوضع على شيء إلا شانه ، والمشورة لا تزين أمراً الا زانه .

ان الحق ليس نصيب كل أحد ، فان الله يقسم كل شيء حتى معرفة الحق ، والواحد ليس نصيبه منها إلا فى بعض الأحيان ، وكلما ارتفع عدد الآحاد ، ارتفعت نسبة وجه الحق .

فلو كان نصيب رجل واحد معرفة الحق في كل عشرين عملا مرة يكون نصيب العشرين من الأفراد ، معرفة الحق عشرين مرة .

والمشورة تبدي الحق .

ولذا يمدح الله تعالى المؤمنين ، بكون أمرهم شورى ، قال :

« ما عند الله خير وابقى للذين آمنوا ، وعلى ربهم يتوكلون ... وأمرهم شورى بينهم » .

انه ليس عمل المؤمن فحسب .

بل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو المتصل بالوحي ، المعصوم عن الزلل ، يأمره الله تعالى بالتشاور ، ليأتسي به المسلمون « ولكم برسول الله اسوة حسنة » .

قال تعالى : « وشاورهم فى الأمر ! فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » وقد كان ديدن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك ، فقد كان يشاور المسلمين فى أعماله .

والمستبد يعرض نفسه للهلكة ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « خاطر بنفسه ، من استغنى برأيه » .

وإن كانت الامور تحتاج إلى المشورة ، فالرياسة أولى الامور بها ، فانها ملتقى الأعمال .

ولذا قال الأمام الصادق (عليه السلام) : « لا يطمعن القليل التجربة : المعجب برأيه فى رياسة » انه لايملك زمامها ـ إلا وسرعان ما يفلت من يده ـ بالاستبداد والاستقلال .

والمشورة ليست حيث وقعت تجلب الخـير ، فرب شخص تكون إستشارته أضر ، وخصوصـاً من جبل على صفة لئيمة ، فمشورة الجبان فى الحرب ، والبخيل فى العطـاء ، والسفيه في التصـرف . . لا تزيد إلا خبالا . .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يا علي ، لا تشاور جبانًا ، فانه يضيق عليك المخرج . ولا تشاور البخيل فانه يقصر بك من غايتك ، ولا تشاور حريصاً ، فانه يزين لك شرهاً ، واعلم ياعلي ، ان الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة ، يجمعها سوء الظن » .

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على اليمن ، فقـال ـ وهو يوصيني ـ يا علي ، ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار . . » .

فمن طلب الخير وجده ، ومن شاور الناس عرف وجه الصواب .

والمشورة إنما هي مع أصحاب العقول الرزينة ، والأحلام الصحيحة لا كل رذل أو ساقط .

عن جعفر بن محمد عن ابيه عليهما السلام ، قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ حيـنما سئل : ما الحزم ؟ ـ : مشاورة ذوي الرأي واتباعهـــم » .

وعنه (عليه السلام) قال : « في التوراة اربعة اسطر : من لا يستشير يندم ، والفقر الموت الأكبر ، وكما تدين تدان ، ومن ملك استأثر » .

وَللمشورة شرط أساسي ، وهو ان يكون المستشار ، ممن يحسب لله حسابه ، ويخاف المعاد ، وإلا اشار بما لا يرضى الله ، ويكون عاقبة : امرهما خسراً.

قال الامام الصادق (عليه السلام) : « قال علي (عليه السلام) ـ في كلام له ـ : شاور فى حديثك الذين يخافون الله » .

والمستشار مؤتمن ، فيلزم ان يقول الحق ، ولو على نفسه .

قال الصادق (عليه السلام) : « من استشار اخاه ، فلم ينصحه محض الرأي سلبه الله عز وجل رأيه » .



التواضع

يبني الناس ـ في الأغلب ـ حياتهم ، على اسس ، تخالف الاسس التي هي عليها ، وبعبارة أصرح : يبنون الحياة على الالتواء ، لهم بطانة ولهم ظهارة .

فترى الشخص ، وهو دون ما يظهر ، يصر على ان يرى نفسه فوق الحقيقة ، أو على الأقل : يحب ذلك .

فترى ذا العلم الضئيل ، أو الثروة الضعيفة ، أو الجاه النكد .. يتزيى فى منطقه وحكايته بزي العلماء الكبار ، والأثرياء العظام ، والوجهاء الفخام ..

لكن الواقع يأبى ان يستره هذه الادعاءات الفارغة ، ففي أول مرة يظهر نفسه ، فينكشف الركام المزعوم ، واظرف منه انه يقع المدعى إلى دون

مقداره ، فهو ان أصر بعلم ليس له ، ارى دون ما يعلم . . وهكذا . .

ان هذا الأمر أثار كبر في النفس ، وحب للاستعلاء ، من غير طريقه المستقيم . .

ويضاد هذه الصفة ، صفة جميلة : هي التواضع ـ : بأن يرى الانسان نفسه على قدره ـ لا كذباً وخداعا ـ بل حفظاً على التوازن بين المقادير .

فمن علم ـ مثلا ـ علم الأحياء فقط ، فان نظر إلى نفسه نظر معجب، إستعلى وتكبر ، وان نظر اليها ، منضما مع النظر إلى سعة دائرة العلوم ، وانه لا يعرف منها إلا مقداراً ضئيلا ، تواضع ولم يبجح . . وهكذا . .

والاسلام يمدح التواضع ، فانه بيان للحقيقة ، والفة للقلوب ، مع ما فيه كسر نزوات النفس .

قال ابو محمد العسكري (عليه السلام) : « اعرف الناس بحقوق اخوانه ، وأشدهم قضاءاً لها : أعظمهم عند الله شأناً ، ومن تواضع فى الدنيا لاخوانه، فهو عند الله من الصديقين . . » .

والمتواضع محبوب عند الناس وان كان صغيراً ، والمتكبر مذموم وان كان عظيما . . وبالتواضع يرتفع الشخص عند الناس .

ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما تواضع أحد ، إلا رفعه الله »

وإلى هذا يلمح كلام الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وما أروعه من مثال يطابق الحقيقة .

روى الصادق (عليه السلام) ، عن ابيه (عليه السلام) : « ان علياً قال : ما من أحد من ولد آدم ، إلا وناصيته بيد ملك ، فان تكبر جذبه بناصيته إلى الأرض ، وقال له : تواضع ! وضعك الله ! ! وان تواضع جذبه بناصيته ، ثم قال له : ارفع رأسك ! رفعك الله ، ولا وضعك ، بتواضعك لله » .

وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والأئمة من أهل بيته ، يتواضعون ، ويعلمون الناس التواضع ، في أعمالهم وأقوالهم .

كان محمد بن مسلم رجلا شريفاً موسراً ، فقال له ابو جعفر (عليه السلام) : تواضع يا محمد ، فلما انصرف إلى الكوفة ، أخذ قوصرة من تمر مع الميزان ، وجلس على باب مسجد الجامع ، وصار ينادي عليه ، فأتاه قومه ، فقالوا له : فضحتنا ! فقال : ان مولاي أمرني بأمر ، فلن اخالفه ، ولن أبرح ، حتى افرغ من بيع ما في هذه القوصرة ! فقال له قومه : إذا أبيت الا ان تشتغل ببيع وشراء ، فاقعد في الطحانين ! فهيأ رحى وجملا ، وجعل يطحن » .

هكذا تكون القلوب العامرة بالايمان ، البعيدة عن مهاوى

الـكبر والاعتلاء .

وبالعكس مما ظن قوم محمد : من انه سيضع بهذه الفعلة ، انه ارتفع وارتفع .. حتى ان علماء المسلمين لا ينظرون اليه إلا بالعظمة ، ولا يذكرونه إلا بالتبجيل والاكرام .

والتواضع يكون بالكلام ، والسلام ، والمجالس ، والمأكل، والمشرب والملبس والمركب ..

ومن تواضع وجد طعمه حلواً عذبا ، أما المتكبر فيكفيه ذلا وصغاراً وحشة الناس منه ، ووحشته من الناس .



دعوة إلى الفضائل

الامام السجاد : علي بن الحسين (عليه السلام) ، بعد ما قتلت بنو امية اباه : الحسين (عليه السلام) ، ضربت حوله نطاقا ضيقاً من العيون والجواسيس حذراً من إثارته الناس على سلطانهم الموبوء . . فكان بذلك ، فى حبس سياسي ، وان لم يكن فى السجن .

وطبعاً : يمنع حينئذ عن الاتصال بالناس ، ونشر الدعوة ، وتبليغ الدين .

وقد اختار هو (عليه السلام) أنجع الطرق ، فى القضاء على الحكومة الفاسدة ، مع نشر معالم الاسلام ، والأثارة على قتلة والده (عليه السلام) .

وكان ذلك :

١ - بالبكاء المستمر الذي لم يفارقه إلى ان قضى عنه .

٢ — واتخاذ العبيد والاماء ، وتزقيقهم شرائع الدين ، ثم اعتاقهم فى كل سنة . واستبدالهم بغيرهم ، فأصبحت داره كمدرسة للتوجيه والارشاد .

٣ — الجنوح إلى الأدعية ، وإيداعها معارف الاسلام ، ولذا ورد عنه ما ورد من الدعاء والاستكانة .

ونحن لسنا بصدد ذلك ، وإنما نريد إدراج فقر من دعائه المعروف بـ ﴿ مكارم الأخلاق ﴾ الذي هو أعظم من كل كتاب يكتب بهذا الصدد ، بعبارات شيقة موجزة ، ومضامين رفيعة ، وأساليب بليغة ، ولنختم الكراسة ، بهذا الختام المبارك .

« اللهم صل على محمد وآله ، وبلغ بايماني اكمل الايمان ، واجعل يقيني أفضل اليقين ، وانته بنيتي إلى أحسن النيات ، وبعملي إلى أحسن الأعمال ، اللهم وفر بلطفك نيتي ، وصحح بما عندك يقيني ، واستصلح بقدرتك ما فسد مني » .

اكمل الايمان ، وأفضل اليقين ، وأحسن النيات والأعمال !

نية وافرة ، ويقين صحيح وصلاح كل شيء !

هل بعد ذلك من شيء ؟ كلا كلا !

ولو أخذ ، ان داعياً بعيداً عن كل هـذه دعا الله بذلك ،

فما معناه ؟

ان معناه : انه يرعب ، والراغب لا بد وان يطلب ، والطالب لابد وان يصل إلى مطلوبه ، أو بعضه ، فان من « جد وجد ، ومن لج ولج ».

« اللهم صل على محمد وآله ، واكفني ما يشغلني الاهتمام به ، واستعملني بما تسألني غداً عنه ، واستفرغ ايامي فيما خلقتني له ، واغنني ، وأوسع علي فى رزقك ، ولا تفتني بالنظر ، واعزني ، ولا تبتليني بالكبر ، وعبدني لك ، ولا تفسد عبادتي بالعجب ، واجر للناس على يدي الخير ، ولا تمحقه بالمن ، وهب لي معالي الأخلاق ، واعصمني من الفخر » .

الشخص يخلق كى يعيش سعيداً ويموت سعيداً ، أما من يشق فانه أما من قصور فى نظام المجتمع ، أو قصور فى نفسه ، واستفراغ الأيام عن القصورين ، كى يهتم الانسان بسعادته الجسدية والروحية ، من أوجب ما يطلبه العاقل من الله .

والغنا ، والتوسعة ، والعزة ، وإجراء الخير على يدي الشخص ـ للناس . خالية عن ان يكون إستدراجا ـ كي يفسد بالمال والجاه . . ـ أو يكون مصحوبا بكبر اومن ، من أفضل السعادات الجسدية .

كما ان العبادة الخالية عن العجب ، خير ذخيرة لليوم الآخر .

ومعالي الأخلاق : البعيدة عن الفخر ، تسعد الانسان في دنياه

واخراه ـ على حد سواء .

« اللهم صل على محمد وآله ، ولا ترفعني في الناس درجة ، إلا حططتني عند نفسي مثلها ، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً ، إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها » .

الرفعة في الناس ، والعز ، تلازمان في النفوس الضعيفة للكبر والاعتـــلاء . . !

فحفظ التوازن لا يكون إلا بالانحطاط عند النفس وذلة باطنة ، حتى تكبح النفس عن غلوائها ، ولا تنظر إلى عطفها مختالة فخورة .

« اللهم صل على محمد وآل محمد ، ومتعني بهدى صالح ، لا إستبدل به ، وطريقة حق لا ازيغ عنها و نية رشد لا اشك فيها ، وعمرني ما كان عمري بذلة في طاعتك ، فاذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني اليك ، قبل ان يسبق مقتك الى ، أو يستحكم غضبك علي » .

الهدى الصالح الراسخ ، والطريق السوي الى الخاتمة ، والنيـة الراشدة التي لا تلثاث بالشكوك وعمري كله خير : فضائل قل أن يظفر بها الانسان ، وهي أحق ما يطلبه الشخص عن الله .

وما أجود تشبيه أعمار البطالين والمجرمين . . بمرتع الشيطان !

انه يرتع فيه انى شاء وكيف شاء ، أليس مرتعه ذلك ؟

والموت من أفضل الامور لمن عمره مرتع الشر، وجرثومة الاجرام، انه لا يزال يعصي ويخرج عن الحدود، حتى يسبق مقت الله فيه، ويستحكم غضبه عليه، فيعيش شقياً، ويموت شقياً!

« اللهم لا تدع خصلة تعاب مني إلا أصلحتها، ولا عائبة أؤنب بها إلا حسنتها، ولا اكرومة في ناقصة إلا أتممتها ».

كلها صلاح واصلاح، واستقامة واقامة.

« اللهم صل على محمد وآل محمد، وابدلني من بغضة أهـــل الشنأن المحبة.

ومن حسد أهل البغي المودة.

ومن ظنة أهل الصلاح الثقة.

ومن عداوة الادنين الولاية!

ومن عقوق ذوي الأرحام المبرة!

ومن خذلان الأقربين النصرة!

ومن حب المدارين تصحيح المقة!

ومن رد الملابسين كرم العشرة!

ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الامنة! ».

أهل البغي يحسدون، واهل الصلاح يظنون، واللادنون يعادون

والأرحام يعقون ، والأقربون يخذلون ، والمداورن يدافقون ، والملابسون يردون ، والظالمون يخاؤون .

فليبدل الله ما فسد منهم صلاحا ، وما زاغ اقامة .. انه درس ودعـــاء ... !

« اللهم صل على محمد وآله ، واجعل لي يداً على من ظلمني . ولساناً على من خاصمني ، وظفراً بمن عاندني ، وهب لي مكراً على من كايدني ، وقدرة على من اضطهدني ، وتكذيباً لمن قصبني ، وسلامـة من توعدني ، ووفقني لطاعة من سددني ، ومتابعة من ارشدني » .

فليس في الاسلام تحمل للظلم ، حتى يجرىء الظالم، وتبعد الشقة بين القلوب والأفراد فالمظلوم المسلم لا بد وان يعمل يده ولسانه حتى يظفر ، ويمكر - اي يعرف وجه الحيلة - ويقدر ، ويكذب ، حتى يسلم ، انه بالنسبة الى العدو ..

اما المسدد المرشد ، فتلزم طاعته ، ومتابعته ..

* * * *

وهنا نكتفي بهذا القدر من ﴿ مكارم الأخلاق ﴾ ومن ﴿ الأخلاق الاسلاميـــة ﴾ .

والحمد لله بدءاً وختاماً ، مصلياً على سيد ولد آدم ، وآله الكرام م

كربلا محمد بن المهدي

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥	تمهيد	٩٦	ألأرحام
٩	ألطهارة	١٠٣	ألانسانية العامة
٣٩	أدب العبادة	١٠٥	حسن الخلق
٤٩	ألألفة والوحدة	١١٢	ألجود والبخل
٥٧	خلق الفرد	١١٧	ألجار والصديق
٥٩	ألكسل	١٢٠	ألسعي فى الحوائج
٦٢	ألطمع والحرص	١٢٤	ألصدق
٦٦	حب الظهور	١٣٧	ألعدل والنصفة
٦٩	إكبار النفس	١٤٤	لسان السوء
٧٣	العلم	١٥٣	ألأمانة
٧٧	بين أفراد العائلة	١٥٧	ألمشورة
٧٩	ألوالد والولد	١٦١	ألتواضع
٨٨	ألزوجان	١٦٥	دعوة إلى الفضائل